بسم الله الرحمن الرحيم

نهاية العالم

أشراط الساعة الصغرى والكبرى

مع صور وخرائط وتوضيحات

www.arefe.com

أول كتاب مصور لأشراط الساعة

خطوات إلى الملك ﷻ

نهاية العالم

أشراط الساعة الصغرى والكبرى

مع صور وخرائط وتوضيحات

بقلم

د/ محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك سعود بالرياض

عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي

محرم ١٤٣١هـ / يناير ٢٠١٠م

www.arefe.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم. أما بعد:

في زماننا المتأخر اختلط الحابل بالنابل، وبدأت ترى في المكتبات، ومواقع الانترنت ظنون وتخرّصات لأحداث المستقبل، تعتمد على آيات وأحاديث أشارت إلى أحداث مستقبلية، تتعلق بأشراط الساعة.

وكلما زادت المحن على الإسلام وأهله بدأ الناس يبحثون عن مخرج أو ربما مخارج.. فتارة تسمع بخروج المهدي، وتارة بقرب الملحمة الكبرى مع اليهود أو النصارى.. وتارة تسمع بالخسف في المشرق أو المغرب.. إلى غير ذلك.

بل إنني زرت إحدى الدول الإفريقية قبل مدة؛ فرأيتُ أن رجلا ظهر عندهم يدّعي أنه المسيح عيسى بن مريمُ قد نزل!!

فكان لا بد - لزامًا - من توضيح أشراط الساعة والكلام على معانيها وفقهها.. فكان هذا الكتاب الذي بين يديك.

ولا يفوتني أن أشكر كلّ من قرأ الكتاب قبل طبعه وأفادني بملحوظاته، وعلى رأسهم صاحب الفضيلة الشيخ د. سلمان بن فهد العودة، والشيخ د. عبد العزيز آل عبد اللطيف، والشيخ المحدّث عبد العزيز الطريفي، وغيرهم، ممن لا أنسى فضلهم. أسأل الله أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه، وأن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع الذي يشهد لنا يوم القيامة.. آمين..

د/ محمد بن عبد الرحمن الدريفي

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك سعود بالرياض

عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي

moharife@gmail.com - هاتف جوال ٠٥٦٦٠٠٠٨٩٦

محرم ١٤٣٢هـ/ يناير ٢٠١١م

شكر: لا يفوتني أن أشكر كل من دعم طباعة ونشر هذا الكتاب، وعلى رأسهم أخي الأستاذ/ محمد بن عبد الكريم العمدي، وأخي الأستاذ/ عبد الرحمن بن مذهان الحلافي، وشركة الاتصالات السعودية (STC)، أسأل الله أن لا يحرمهم جميعاً عظيم الأجر والثواب، وأن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع الذي يشهد لنا جميعاً يوم القيامة. آمين.

لماذا التكلم عن أشراط الساعة

كل أمر يبحثه الإنسان ويتحدث عنه لا بدّ أن يكون له ثمرات يجنيها من بحثه وعمله.

فهل البحث في أشراط الساعة، ومعرفتها له ثمرات نعيشها في حياتنا؟

أم هو مجرد معلومات يضيفها المرء إلى رصيده الثقافي دون أن يكون له تأثير في الواقع؟

الجواب:

أنه قد ورد في القرآن والسنة ذكر أشراط الساعة، ولهذا فوائد عديدة يجدها الإنسان في حياته، من ذلك:

١ تحقيق الإيمان بالغيب، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[2].

والإيمان بالغيب يعني الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ أو أخبر به رسوله ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق.

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

٢ وفي معرفة أشراط الساعة حث النفس على طاعة الله والاستعداد ليوم القيامة؛ ففيه إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة، وعدم الركون إلى الدنيا، وهذا ما فعله المصطفى ﷺ مع من حوله حينما علم بقرب أحد أشراط الساعة، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قام من الليل وقال «ويل للعرب من شر قد اقترب، اليوم فتح من سد يأجوج ومأجوج.. الحديث» وفيه «أيقظوا صواحب الحجر يصلين فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

٣ أن فيها بيانًا لأحكام شرعية ومسائل فقهية.

ففي قصة مكوث الدجال في الأرض، يوم كسنة ويوم كشهر، سأل الصحابة النبي ﷺ عن أيام الدجال الطويلة التي يمكث فيها على

(١) البقرة: ٣.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

الأرض، فقالوا: «أنكفي في اليوم الواحد منها صلاة يوم؟!» فقال النبي ﷺ: «لا، اقدروا له قدره». فاستفدنا من ذلك كيف يصلي المسلمون المقيمون في بلدان يستمر فيها النهار أو الليل أشهرًا.

٤ معرفة النبي ﷺ بأشراط الساعة، وهي أمور غيبية لا تُدرَك بالظن والتخمين، فيه دلالة على صدق رسالته، وأنه رسول من عند الله ﷻ فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

٥ أن معرفتنا لأشراط الساعة يفيدنا في التعامل معها بالطريقة الشرعية، حتى لا يلتبس علينا أمرها. مثل إخبارنا عن الدجال بالتفصيل، ووصف عينه وجبينه والأشياء التي معه؛ حتى لا نقع في فتنته بل نعرف أنه دجال.

٦ التهيؤ النفسي لما سيكون مستقبلا، بخلاف ما إذا كان الأمر مفاجئًا.

٧ فتح باب الأمل؛ لأن من أشراط الساعة ما فيه نصر للإسلام، ونشره في الأرض، وأن دين اليهود والنصارى سيزول؛ وذلك بناء على البشارات النبوية بالتمكين للإسلام، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

٨ إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان، التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه ومعرفة ما يحدث في المستقبل من وقائع وأحداث، مع تحقيق الشارع ﷻ للأخبار الصادقة في شأن هذه المغيبات.

(١) الجن: ٢٦-٢٧

وإذا كان الإسلام سد طرق الدجالين الذين يدّعون الاطلاع عليها، كالمنجمين، والعرافين، والكهّان ونحوهم، إلا أنه أطلعنا من خلال الوحي على كثير من هذه الأحداث المستقبلية وهي أشراط الساعة.

٩ أن الإيمان بأشراط الساعة يقوي الإيمان ويزيده؛ فوقوع مثل هذه العلامات يؤكّد صدق الدين الذي أنت عليه.

إلى غير ذلك من الثمرات التي لها تأثير في حياتنا..

قواعد في التعامل مع أشراط الساعة

ألف العلماء قديمًا وحديثًا في أشراط الساعة، ولا تزال المؤلفات تصدر، والبرامج التلفزيونية والإذاعية ومواقع الإنترنت كلها تتحدث عن أشراط الساعة بين فينة وأخرى.. وقد وقع لبعض المتعاملين مع نصوص أشراط الساعة شيء من الخلط والاضطراب.

فرأيت أن أورد هنا عددًا من القواعد في التعامل مع أشراط الساعة والنصوص الشرعية الواردة فيها.

الاقتصار على نصوص القرآن والسنة الصحيحة في الاستدلال:

وذلك لأنهما المصدر الذي يمكن منه معرفة الغيبيات ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، فقد يخبر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ ببعض المغيبات لمصالح دينية، ومنها أشراط الساعة، وهي غيب مستقبلي.

أما معرفة أشراط الساعة من خلال الإسرائيليات، أو الرؤى والمنامات، أو تنزيل الأحداث السياسية على أنها من أشراط الساعة من غير دليل على ذلك، فلا يصح.

وكذلك لا بدّ أن يكون النص المستدل به صحيحًا، سواء كان منسوبًا إلى النبي المعصوم ﷺ أو أحد من الصحابة الكرام.

وقد اتخذت أشراط الساعة بابًا للإثارة والتجارة لترويج مبيعات الكتب، وجلب القراء وتكثيرهم بذكر الغريب والشاذ والمكذوب والأوهام والأحلام، ومن أطرف ما قرأت في ذلك ما ذكره أحد المؤلفين قال: «في أثر عزيز من مخطوطة نادرة من القرن الثالث الهجري بدار الكتب الإسلامية، بمكتبخانة الترك باسطنبول ما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب ﷺ وفي رواية خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس الموت خاف أن يكتم علما فقال لمن حوله: في نبأ علمته عما هو كائن في حروب[3] آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا ولا بأس جزاك الله خيرا، فقال:

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الجن: ٢٦-٢٧.

(٣) من وجوه معرفة الكذب عند المحدثين غرابة التركيب، ووجوه التصريف اللغوي فلفظة «حروب» التي ذكرها الكاتب لا يستعملها الصحابة في كلامهم على هذا الجمع.

وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاثمائة، عد خمسًا أو ستًا يحكم مصر رجل يكنى (ناصر)، يدعوه العرب (شجاع العرب)، وأذله الله في حرب وحرب، وما كان منصورًا، ويريد الله لمصر نصرًا له حقًا في أحب شهوره - وهو له -؛ فأرضى مصر رب البيت والعرب لأسمر سادا، أبوه أنور منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين.

وفي عراق الشام رجل متجبر... و... سفياني، في إحدى عينيه كحل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن عارضه، الدنيا جمعت له في (كوت) صغير دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين.

وفي عقود الهجرة الألف وأربعمائة، واعقد اثنين أو ثلاثًا... يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له - الضالين والمغضوب عليهم والذين مردوا على النفاق - في بلاد الإسراء والمعراج عند جبل مجدون، وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانية اسمها (أمريكا) تراود العالم يومئذ في الضلال والكفر، ويهود الدنيا يومئذ في أعلى عليين، يملكون كل القدس والمدينة المقدسة، وكل البلاد تأتي من البحر والجو إلا بلاد الثلج الرهيب وبلاد الحر الرهيب، ويرى المهدي أن كل الدنيا عليه بالمكر السيئ، ويرى الله أشد مكرًا، ويرى أن كل كون الله له، إليه المرجع والمصير، وكل الدنيا شجرة له أن يملكها فرعًا وجذرًا؛ فيرميهم الله بأكرب رمي، ويحرق عليهم الأرض والبحر والسماء، وتمطر السماء مطر السوء، ويلعن أهل الأرض كل كفار الأرض، ويأذن الله بزوال كل الكفر».[1]

(١) كشف الكنون في الرد عن كتب هرمجدون (٥٨)، وانظر المهدي وفقه أشراط الساعة (٦٣٦).

مراجعة العلماء الثقاة في هذا الباب:

الواجب على من وقع في نفسه شيء في هذا الباب ألا يتعجل في إظهاره قبل عرضه على أهل العلم: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾[2]، وقد كانت هذه طريقة السلف الصالح، ومن ذلك ما جاء في خبر أبي الطفيل ﷺ قال: «كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال! فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت: هذا الدجال قد خرج! فقال: اجلس، فجلست، فأتى على العريف[3]، فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطعنونه. قال: اجلس فجلس، فنودي إنها كذبة صباغ. فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا. قال: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكن الدجال يخرج في بغض من الناس[4]، وخفة من الدين، وسوء ذات بين؛ فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ؛ فتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش...» الحديث[5].

حدثوا الناس بما يعقلون:

يتساهل عدد من المتحدثين في أشراط الساعة، بسرد الأحاديث والكلام عن الأشراط مع عامة الناس، أو حديثي الإسلام ممن قد لا تستوعب عقولهم ما يسمعون.

---

(١) الأنبياء ٧

(٢) النساء ٨٣

(٣) العريف هو القيم بأمور الجماعة من الناس والمسؤول عن شؤونهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

(٤) أي تباغض وحسد ينتشر بينهم.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٨٦٥٧ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) قال الشيخ مصطفى العدوي: (وفي بعض رجاله كلام يسير، فمي إسناده معلا ابن هشام فيه كلام ينزل بحديثه إلى درجة الحسن وفيه قتادة مدلس وقد عنعن إلا أن الراوي عنه هو هشام بن أبي عبد الله الدستوائي وهو ممن أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه) انظر: الصحيح المسند من الملاحم والفتن وأشراط الساعة (٥٠٧) ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن قتادة مرسلاً، وهو الصواب.

ومن المقرر أنه ليس كل ما يُعلمُ يُقال، ولا كل صحيح صالح للنشر، لقصور العقول أحيانا عن تحمله، أو لسوء التعامل معه، أو لعدم تنزيل الكلام منازله الصحيحة، فعن علي ﷺ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»[1].

وفي رواية: «أيها الناس، تحبون أن يكذب الله ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون»[2].

وقال ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري ١٢٧، قال القسطلاني معلقا عليه: (فجعل إلقاء العلم مقيدا بقرب مسألة تصلح لقوم دون قوم) الموافقات ٥/٣٦.

(٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ١/٧٦.

(٣) رواه مسلم في المقدمة/ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

قواعد لتنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع

ظهرت في أزمان من الفتور سابقة ولاحقة محاولات متعددة في تنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع، والجزم بذلك كما تقدم.

لذا رأيت أن أسوق عدد ١٠٣ من القواعد في تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع:

القاعدة الأولى: لسنا مُطالبين بتنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع:

لما كان الإنسان بفطرته حاضرًا بجميع حواسه ليومه وساعته، تشدّه الأحداث بما لا تشدّ غيره من اللاحقين له، الذين لا تحضر حواسّهم ومداركهم جميعها لأحداث ماضيهم، يعظم الحاضر أحداث زمانه وبهولها، وصغائر المصائب الحاضرة أعظم من كبائرها الغابرة، كما قيل:

يـــا زمـــانًا بكـــيت منـــه فلما صرت في غيره بكيت عليـه

لذا فالشاهد يُنزّل أشراط الساعة ومقدماتها على يومه وليله وما يشاهده، وإن مضى في التاريخ ما هو أعظم منها، لقلة أثرها عليه، أو للجهل بها أصلًا.

ويسوغ الاجتهاد لأهل العلم والمعرفة والورع في أشراط الساعة وتنزيلها، كما اجتهد عمر ﷺ بأن ابن صياد هو الدّجال، مع شهود النبي ﷺ ولم ينكر عليه.

ولكن إن لزم من هذا الاجتهاد انشقاق الصف المسلم، أو كان لهذا الاجتهاد تبعات شرعية ولوازم مردّها الدليل، مُنع الإنسان من ذلك وزُجر إلا ببيّنة، كلزوم القتال والفتنة أو استباحة العرض أو شق الصف، فهذا لا يجوز إلّا بدليل مستقلّ من الوحي.

بعض الناظرين في أحاديث أشراط الساعة مُولَع باستقصاء التاريخ الماضي والحاضر، ويتكلّف بتنزيل الأحاديث التي أخبرت بأحداث وأمور مستقبلية وأشراط الساعة على وقائع وأحداث.

فيقرأ مثلا: «يوشك أن لا يُجبى للعراق قفيز[1] ولا درهم..»[2]! فيقول هذه العلامة من علامات الساعة وقعت عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، يوم حوصر العراق اقتصاديا من قبل أمريكا (العجم).

وهذا وإن كان محتملًا جدًا، إلّا أن هذه الطريقة في تنزيل الأحاديث على وقائع الحياة فيها شيء من القصور والمزالق، خاصة مع الجزم بها.

(١) القفيز: نوع من المكاييل كان يستعمله أهل العراق، كما نستعمل نحن اليوم (كيلوغرام، رطل..).

(٢) عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: «يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا من أبي ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدي. قلنا من أبي ذاك؟ قال: من قبل الروم» (رواه مسلم). والمُدي: جمع مدية، وهي المكيال.

وأعظم من ذلك ما حدّده بعض العلماء لعُمْر الدنيا، فقال بعضهم ٩٠٠ سنة، وقال آخرون ١٠٠٠ سنة، استنادًا لبعض الأحاديث، وممن اشتهر عنه ذلك الإمام السيوطي، والسخاوي وغيرهما.

إذن.. الجزم بأن هذه العلامة، وقعت عام كذا وكذا يقينًا جازمًا، لا يجوز إلا بقرائن شرعية واضحة بيّنة، كما نزّل كثيرون أحاديث المهدي على أشخاص معينين، وجزموا بأن فلانًا هو المهدي، وما تبع ذلك من فتن وسفك دماء، وخروج على الولاة.

ومن أمثلة ما كُتب في ذلك:

ما ذكره صاحب كتاب (أسرار الساعة): أن الدجال يُعطى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، ثم بين أنه محمد خاتمي، ولقّبه (آية الله جورباتشوف)[1].

وآخرُ في كتابه (المسيح الدجال) يجزم بأن المهدي المنتظر هو: صدام حسين الرئيس العراقي الأسبق[2].

وأمين محمد جمال في كتابه (هرمجدون) يزعم أن السفياني الذي ورد في بعض الأحاديث هو صدام حسين.

وفي كتاب (أشراط الساعة وهجوم الغرب) زعم المؤلف أن السفياني هو الملك الحسين ملك الأردن الأسبق[3].

وهذه الدعاوى لا يصح الجزم بها. أما إذا اجتمعت القرائن الواضحة على أن هذه العلامة الواردة في الحديث، تنطبق تمام الانطباق على الحادثة المعينة،

(١) كتاب (أسرار الساعة) لمؤلفه فهد السالم.

(٢) وقد قُتل صدام عام ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م في العاشر من شهر ذي الحجة، ومؤلف كتاب المسيح الدجال: هو سعيد أيوب.

(٣) توفي الملك حسين ملك الأردن عام ١٤٢٠ هـ الموافق ٧ / ٢ / ١٩٩٩ م، ومؤلف كتاب (أشراط الساعة وهجوم الغرب) هو فهد السالم.

وصار الأمر واضحًا لا شك فيه، فلا بأس في تنزيل الحديث على ذلك، مع إمكانية تنزيل الحديث على غيرها من الوقائع المشابهة لها، أو الأكثر وضوحا منها.

ومن أمثلة ذلك:

١ ما رواه مسلم أن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير، قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي قاد الجيش القاتل لابن الزبير: «أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا[1]، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه»، قال: «فقام عنها ولم يراجعها».

قال النووي: «وَقَوْلُهَا فِي الْكَذَّاب: (فَرَأَيْنَاهُ) تَعْنِي بِهِ الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد الثَّقَفِيّ، كَانَ شَدِيد الْكَذِب، وَمِنْ أَقْبَحه إِدِّعَاء أَنَّ جِبْرِيل ﷺ يَأْتِيه، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالْكَذَّابِ هُنَا الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد، وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاج بْن يُوسُف، وَاَللَّه أَعْلَم»[2].

٢ ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى[3]»، وقد خرجت هذه النار، وقيل إنها بقيت ثلاثة أشهر وكان نساء المدينة يغزلن على ضوئها.

قال أبو شامة واصفًا الواقعة: «لما كانت ليلة الأربعاء ٣ / جمادى الآخرة / ٦٥٤هـ[4]، ظهر بالمدينة المنورة دويٌّ عظيم، ثم زلزلة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحَرَّة قريبة من بني قريظة

(١) المبير: القاتل المتماح، كثير القتل.
(٢) شرح مسلم للنووي (١٨ / ٣٢٨).
(٣) هي مدينة حوران الآن بالشام.
(٤) يوافقه ٢٩/٥/١٢٥٦م.

تبصرها من دورنا من داخل المدينة، وكأنها عندنا نار عظيمة، سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وهي ترمي بشرر كالقصر»[1].

قال النووي: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نار عظيمة من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها»[2].

قال الحافظ ابن حجر بقوله: «والذي ظهر لي أن النار المذكورة هي التي ظهرت بنواحي المدينة، كما فهمه القرطبي وغيره»[3].

٣ ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج». قيل: وما الهرج؟ قال: «القتل»[4].

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في تعليقه على فتح الباري: «الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم، وقصر زمن المسافة بينها؛ بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة، وما إلى ذلك والله أعلم».

القاعدة الثانية: ليس شرطًا أن يكون وقوع أشراط السّاعة قريبًا من قيامها فقد تتقدم عليها بزمن طويل.

أشراط الساعة هي علامات تدل على تقارب وقوعها، سواء كانت هذه العلامة قريبة من ساعة وقوعها، أو بعيدة عنها.

(١) انظر التذكرة للقرطبي (ص: ٥٢٧).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٨ / ٢٨).
(٣) فتح الباري (١٣ / ١٢٨).
(٤) أي كثرة القتل وإراقة الدماء بغير حق.

فمثلاً قال ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى»[1]، وهذا يدل أن بعثته ﷺ وموته[2] هي علامات لقرب قيام الساعة، وإن كانت غيرها من العلامات التي وقعت بعدها أقرب زمنا إلى الساعة منها.

ويمكن أن نقسم أشراط الساعة من حيث وقت وقوعها إلى أقسام:

- منها ما وقع واضحًا تمامًا كما أخبر النبي ﷺ كما في بعثته وموته، وظهور مدعي النبوة ...
- ومنها: ما وقعت أوائله، ولا يزال يزداد، كما في تقارب الأسواق، وانتشار الكتابة، وكثرة الهرج (القتل)[3].
- ومنها ما لم يقع بعد، وسوف يقع، كخروج الدابة، والدجال[4].

القاعدة الثالثة: خطورة التنزيل الخاطئ لأحاديث أشراط الساعة على الواقع:

١- أنه قول بغير علم ورجم بالغيب:

لأنك إذا جزمت بأن العلامة الواردة في الحديث وقعت في كذا وكذا.. افتقر هذا إلى بيّنة أو قرينة من الشرع أو النظر، ولا بيّنة فيه، ولا قرينة، ولا يليق بمؤمن صادق أُمر بالتحري أن يطلق لسانه في أمور الشريعة وأخبارها بما لا علم له به.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) كما سيأتي بيانه في العلامة رقم (١) و(٢) من العلامات الصغرى.

(٣) ستأتي هذه العلامات برقم (٦٨) و(٥٥) و(١٦) من العلامات الصغرى.

(٤) ستأتي هذه العلامات برقم (٨) و(١) من العلامات الكبرى.

٢- القيام بعمل غير مشروع أو ترك العمل المشروع:

فبعض الناس قرأ كتبًا تكلّمت عن خروج المهدي، وجزم مؤلفوها بأن المهدي هو فلان؛ فصار بعض القراء ينتظرون المهدي، ويرتبون أمورهم على ظهوره؛ فمنهم من اشترى فرسًا وسيفًا استعدادًا للملاحم والسنوات القادمة.

ومنهم من ترك الزواج وبناء البيت؛ بناءً على أن خروج الدجال قاب قوسين أو أدنى.. إلى غير ذلك.

٣- أن يؤول إلى مفاسد كبرى كتكذيب الله ورسوله ﷺ:

كما لو جُزم مثلاً أن المقصود بالمهدي هو فلان، ثمّ تبيّن خلاف ذلك، فقد يؤدي هذا بالناس إلى التكذيب بأحاديث المهدي، ومثل ذلك الجزم بغيرها من العلامات دون يقين تام بصحة تنزيلها على الواقع.

معنى أشراط الساعة

الأشراط:

جمع شَرَط، والشرط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها وأسبابها، فهي العلامات التي يكون بعدها قيام الساعة[1].

والساعة:

الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت الساعة لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[2].

(١) انظر الصحاح للجوهري (٣ / ١٣٦) وغريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٦٠).
(٢) انظر غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٦٠).

أقسام أشراط الساعة

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الأشراط والعلامات الصغرى وهي نوعان:

النوع الأول: الأمارات البعيدة:

وهي التي ظهرت وانقضت، وهي علامات صغرى، لبعد زمن وقوعها عن قيام الساعة، مثل بعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر، وخروج نار عظيمة بالمدينة[1].

(١) ستأتي هذه العلامات برقم (١) و(٢) و(١٣).

النوع الثاني: الأمارات المتوسطة:

وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر، وهي كثيرة جدًا، وهي علامات صغرى أيضًا كما سيأتي، منها: أن تلد الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان، وخروج دجالين ثلاثين يدّعون النبوة[1].

القسم الثاني: العلامات الكبرى:

وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت، وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء

قال حذيفة: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر:

١. الدخان
٢. والدجال
٣. والدابة
٤. وطلوع الشمس من مغربها
٥. ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام
٦. ويأجوج ومأجوج

وثلاثة خسوف:

٧. خسف بالمشرق
٨. وخسف بالمغرب
٩. وخسف بجزيرة العرب
١٠. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»»[2]

(١) سيأتي هذه العلامات برقم (١٩) و(٢٠) و(٢١).
(٢) رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد، وانظر هذه العلامات في الجزء الثاني (أشراط الساعة الكبرى).

وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك[1].

❁ ❁ ❁

(١) سيأتي تفصيل هذه العلامات برقم (١٣١) و(١٣٦) و(١٤١) من أشراط الساعة الصغرى.

العلامات الصغرى

القسم الأول: علامات وقعت:

١. بعثة نبينا محمد ﷺ
٢. وفاة نبينا محمد ﷺ
٣. انشقاق القمر
٤. انقراض الصحابة الكرام
٥. فتح بيت المقدس
٦. موتان كقُعاص الغنم

٧ كثرة ظهور الفتن بأنواعها

٨ ظهور القنوات الفضائية

٩ إخباره ﷺ عن موقعة صِفّين

١٠ ظهور الخوارج

١١ خروج أدعياء النبوة الدجالين الكذابين

١٢ شيوع الأمن والرخاء

١٣ ظهور نار من الحجاز

١٤ قتال الترك

١٥ ظهور رجال ظلمة يضربون الناس بالسياط

١٦ كثرة الهَرْج (القتل)

١٧ ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

١٨ اتباع سَنن الأمم الماضية

١٩ ولادة الأمة ربتها

٢٠ ظهور النساء الكاسيات العاريات

٢١ تطاول الحفاة العراة رعاة الشاء بالبنيان

٢٢ تسليم الخاصة

٢٣ فُشُوّ التجارة

٢٤ مشاركة المرأة زوجها في التجارة

٢٥ سيطرة بعض التجار على السوق

٢٦ شهادة الزور

٢٧ كِتمان شهادة الحق

٢٨ ظهور الجهل

٢٩ كثرة الشُّح والبُخل

٣٠ قَطِيعة الرحِم

٣١ سُوء الجوار

٣٢ ظُهور الفُحش

٣٣ تخوين الأمين، وائتمان الخائن

٣٤ هلاك الوُعُول وظهور التُخوت

٣٥ عدم المبالاة بمصدر المال من حرام أم من حلال

٣٦ أن يُتّخذ الفيءُ دولًا

٣٧ أن تكون الأمانة مَغنمًا

٣٨ أن لا تُطيب نفوس الناس بإخراج زكاتهم (والزكاة مغرمًا)

٣٩ تعلُّم العِلم لغير الله

٤٠ طاعة الزوجة وعقوق الأم

٤١ إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء

٤٢ رفع الأصوات في المساجد

٤٣ سيادة الفساق على القبائل

٤٤ يكون زعيم القوم أرذلهم

٤٥ إكرام الرجل اتقاء شره

٤٦ استحلال الحِرِّ

٤٧ استحلال الحرير للرجال

٤٨ استحلال الخَمر

٤٩ استحلال المعازف

٥٠ تَمني الناس الموت

٥١ مجيء زمان يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا

٥٢ زخرفة المساجد والتباهي بها

٥٣ زخرفة البيوت وتزيينها

٥٤ كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة

٥٥ كثرة الكتابة وانتشارها

٥٦ اكتساب المال باللسان والتباهي بالكلام

٥٧ انتشار الكتب غير القرآن

٥٨ زمان يكثُر فيه القراء ويقل الفقهاء والعلماء

٥٩ التماس العِلم عند الأصاغِر

٦٠ موت الفجأة

٦١ إمارة السفهاء

٦٢ تَهارُب الزمان

٦٣ أن ينطق الرويبضة

٦٤ أن يُصبح أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع

٦٥ اتخاذ المساجد طرقا

٦٦ غلاء المهور ثم ترخص

٦٧ غلاء الخيل ثم ترخص

٦٨ تقارب الأسواق

٦٩ تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

٧٠ تدافُع الناس عن الإمامة في الصلاة

٧١ صِدق رؤيا المؤمن

٧٢ كثرة الكذب

٧٣ وقوع التناكر بين الناس

٧٤ كثرة الزلازل

٧٥ كثرة النساء

٧٦ قِلة الرجال

٧٧ ظُهور الفاحشة والمُجاهرة بها

٧٨ أخذ الأُجرة على قراءة القرآن

٧٩ أن الناس يكثُر فيهم السمن

٨٠ ظهور قوم يَشْهدون ولا يُسْتَشْهدون

٨١ ظهور قوم يَنْذرون ولا يَفُون

٨٢ أن القوي يأكل الضعيف

٨٣ ترك الحكم بما أنزل الله

٨٤ كثرة الروم وقِلة العرب

القسم الثاني: علامات لم تقع بعد:

٨٥ استفاضة المال وكثرته بين الناس

٨٦ إخراج الأرض كنوزها

٨٧ ظهور المسخ

٨٨ ظهور الخسف

٨٩ استباحة الفَخْف

٩٠ مطر لا تُكِنُّ منه بيوت المَدَر

٩١ نزول المطر من السماء ولا تُنبت الأرض شيئًا

٩٢ فتنة تستنظف العرب

٩٣ كلام الشجر نُصرة للمسلمين

٩٤ كلام الحجر نُصرة للمسلمين

٩٥ قتال المسلمين لليهود

٩٦ يحسر الفرات عن جبل من ذهب

٩٧ مجيء زمان يُخَيَّر الرجل فيه بين العجز والفجور

٩٨ عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا

٩٩ ظهور فتنة الأحلاس

١٠٠ ظهور فتنة السراء

١٠١ ظهور فتنة الدّهيماء

١٠٢ مجئ زمان السجدة فيه تَعْدِل الدنيا وما فيها

١٠٣ انتفاخ الأهلة

١٠٤ مجيء زمان لا يبقى أحد إلا لحق بالشام

١٠٥ الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم

١٠٦ فتح القسطنطينية (فتحًا آخر غير فتح محمد الفاتح)

١٠٧ أن لا يُقسم الميراث

١٠٨ أن لا يَفرح الناس بغنيمة

١٠٩ عودة الناس إلى الأسلحة والمركوبات القديمة

١١٠ عمران بيت المقدس

١١١ خراب المدينة وخلوها من السكان والزائرين

١١٢ نفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد

١١٣ زوال الجبال من أماكنها

١١٤ خروج رجل من قحطان يطيعه الناس

١١٥ خروج رجل يقال له الجهجاه

١١٦ تكلم السباع والجمادات

١١٧ تكلم طرف السوط

١١٨ تكلم شراك النعل

١١٩ إخبار فخذ الرجل بأخبار أهله

١٢٠ لا تقوم الساعة حتى يَدْرُسَ الإسلام

١٢١ رفع القرآن من المصاحف والصدور

١٢٢ جيش يغزو البيت يُخْسف بأوله وآخره

١٢٣ ترك الحج لبيت الله الحرام

١٢٤ عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام

١٢٥ فناء قبيلة قريش

١٢٦ هدم الكعبة على يدي رجل من الحبشة

١٢٧ بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين

١٢٨ ارتفاع مباني مكة

١٢٩ لعن اخر الأمة أولها
١٣٠ الرواحل الجديدة.. السيارات
١٣١ ظهور المهدي

أشراط الساعة

تقدم أن أشراط الساعة كبرى وصغرى، والفرق بينهما أن الكبرى يعقبها قريبًا قيام الساعة، ويكون لها تأثير كبير، ويشعر بها جموع الناس، أما الصغرى فقد تتقدم على الساعة بزمن، وتقع في مكان دون مكان، ويشعر بها قوم دون قوم.

وسنبدأ هنا بذكر العلامات الصغرى، مستقريًا إياها من الآيات والأحاديث الواردة في ذلك متحريًا الدقة وصحة الأحاديث، وثبوت الآثار.

١

بعثة نبينا محمد ﷺ

أخبر ﷺ أن بعثته دليل وعلامة على قرب الساعة، وأنها أول أشراط الساعة الصغرى، عن سهل بن سعد ﷺ قال: رأيت رسول ﷺ قال بأصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعِثت والساعة كهاتين»[١]، وقال ﷺ: «بُعِثت في نَسَم الساعة»[٢]

قال القرطبي: «أولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بُعِث ليس بينه وبين القيامة نبي»[٣] اهـ

(١) رواه البخاري ورواه مسلم من حديث أنس.

(٢) رواه الحاكم في الكنى، وقال الألباني "صحيح" كما في "السلسلة الصحيحة" (حديث رقم ٨١٨)، ونَسَم الساعة: أولها، والنَّسَم في الأصل أول هبوب الريح الضعيفة.

(٣) انظر التذكرة للقرطبي (١ / ٧١٠).

٢

وفاة نبينا محمد ﷺ

الفجيعة بموته ﷺ هي من أوائل علامات قرب الساعة فقد قال عوف بن مالك: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم[١]، فقال: «اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم[٢]، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا -أي يكثر المال عند الناس ويغتنوا حتى لا يكاد الرجل يفرح إلا بآلاف الدنانير- ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[٣]، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين، غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا[٤]»[٥].

ولقد كانت وفاته ﷺ من أعظم المصائب التي أصابت المسلمين، وأظلمت المدينة في عيون الصحابة - رضوان الله عليهم - عندما مات ﷺ.

فبموته ﷺ انقطع الوحي من السماء، وكان أول ظهور الفتن وارتداد بعض العرب عن الإسلام.

(١) قبة من أدم: أي خيمة من جلد.
(٢) هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها ثم يميت فجأة.
(٣) بنو الأصفر: الروم، وهم اليوم الأوربيون والأمريكان.
(٤) رواه البخاري.
(٥) سيأتي الكلام على هذه العلامات وشرحها تفصيلاً.

٣
انشقاق القمر

قال الله ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[١].

صورة نشرتها وكالات الفضاء لصورة شق واضح في وسط القمر

قال الحافظ ابن كثير:

«قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»[٢].

قال أنس رضي الله عنه: «إن أهل مكة سألوا رسول ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»»[٤]

(١) القمر: ١-٢
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧ / ٤٧٢).
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.

وقال ابن عباس ﷺ: «اجتمع المشركون على رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا؛ فأمسى القمر نصفين: نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان، ورسول الله ﷺ يقول: «اشهدوا»»[1].

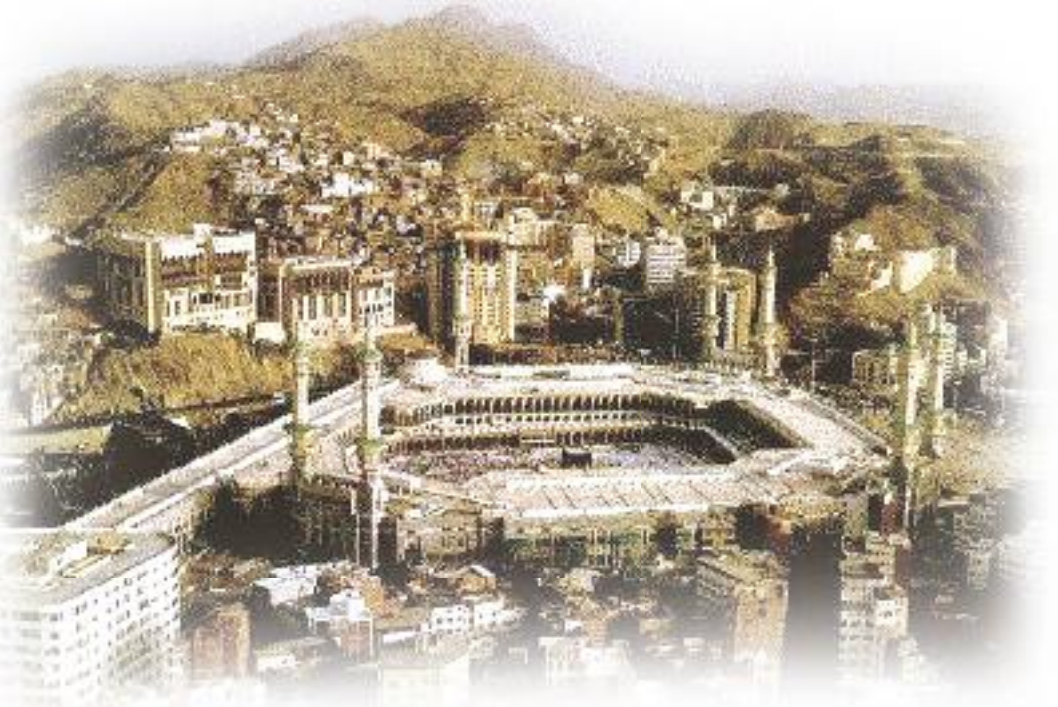

المسجد الحرام ويظهر خلفه جبل أبي قبيس

(1) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة والحديث في إسناده موسى بن عبد الرحمن الكندي، وللحديث شواهد، وأوردته هنا لاستئناسنا بمن ذكره من أهل العلم.

٤

انقراض الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة بعد نبينا ﷺ وفي حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[1].

ففي هذا الحديث:

- قرن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم بذهاب أمارتين للساعة، ذهاب النجوم، ونزول الشهب، وموت الرسول ﷺ.
- أنه ثبت في الأحاديث أنه يذهب الصالحون الأول فالأول فتقوم الساعة على شرار الخلق.

(١) رواه مسلم.

٥

فتح بيت المقدس

عندما بُعِث النبي ﷺ كان بيت المقدس تحت وطأة النصارى الروم، والروم دولة قوية متمكّنة، وقد بشر النبي ﷺ بفتح بيت المقدس، وعدّ ذلك من أشراط الساعة، كما في حديث عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: «اعدد ستا بين يدي الساعة».. وذكر منها «فتح بيت المقدس»[1].

المسجد الأقصى

وقد فُتح بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في سنة (١٦هـ - ٦٣٧م)، وطهّره من الكفر وبنى فيه مسجدًا.

وقد فُتح بيت المقدس مرتين مرة في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، ومرة في زمن الدولة الأيوبية؛ فتحه صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - (عام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م).

وستُفتح القدس بإذن الله على يد فئة مؤمنة، حتى أن الشجر والحجر ينطق قائلًا: «يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله»[2].

وسيأتي ذكر بعض المعارك الواقعة حول بيت المقدس وقتال المسلمين لليهود[3].

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) انظر علامة رقم (٩٥) من العلامات الصغرى.

٦

موتان كقُعَاص الغنم

هذا من علامات الساعة، والموتان هو لفظ مبالغة من الموت، أي يقع موت كثير جدًا، أشبه ما يكون بالوباء الذي يقضي على الناس جماعات جماعات.

الطاعون الدملي (الدبلي) وهو الشكل الأكثر شيوعًا

وقد قيل إن هذا وقع في طاعون عمواس. والطاعون هو: بثور أو أورام تظهر في الجسم مع التهاب شديد ومؤذٍ جدًا، وهو مرض فتاك شديد العدوى.

وعمواس: هي قرية بفلسطين قرب بيت المقدس[1].

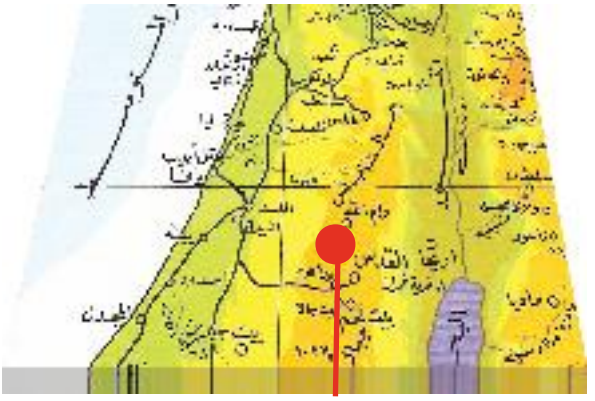
موقع قرية عمواس

وعن عوف بن مالك قال ﷺ: «اعْدُد ستًّا بين يدي الساعة وذكر فيه: موتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم»[2].

فكان حدث في الأمة زمن عمر بن الخطاب ﷺ بعد فتح القدس (عام ١٦هـ) انتشار مرض الطاعون - وذلك في سنة (١٨ هـ) - في أرض الشام؛ فمات خلق كثير بلغ خمسة وعشرين ألف رجل من المسلمين.

(١) انظر معجم البلدان (٤ / ١٧٧).
(٢) رواه البخاري.

ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة، منهم: معاذ بن جبل، وأبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وقُعَاص الغنم هو داء يأخذ الدواب؛ فيسيل من أنوفها شيء؛ فتموت فجأة، وقد شبه النبي ﷺ الموتان بقُعَاص الغنم لأن الطاعون يظهر قرحة في البدن تسيل، ثم يموت منها المصاب.

٧
كثرة ظهور الفتن بأنواعها

وهذا من أشراط الساعة التي بدأت تتضح في هذا الزمان وأصبح المرء محاطًا بأنواع الفتن:

فتنة النظر الحرام من خلال ما يعرض في القنوات الفضائية والمجلات، ومواقع الإنترنت، وما يتناقله الناس من صور ومقاطع فيديو محرمة عبر الهواتف المحمولة وغيرها، فهذه فتن من تركها ونجى منها مخافة الله وتعظيمًا له؛ أورثه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

وفتنة المال الحرام، كأموال الربا، والرشاوي، وبيع البضائع المحرمة من خمور وملابس محرمة وغير ذلك.

وأكل المال الحرام لا يستجيب الله دعاءه، وتوعده بالنكال.

وفتنة اللباس الحرام سواء من الرجال أو النساء.

وكثرة وقوع الناس في الفتن، حتى صار التقي النقي غريبًا بينهم.

والفتن جمع فتنة، وهي الاختبار والابتلاء، واستعملت في كل شيء مكروه.

وقد أخبر ﷺ بمجيء الفتن العظيمة التي يلتبس فيها على المسلم الحق، وكلما ظهرت فتنة قال المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، ويظهر غيرها.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا»[1].

ومعنى الحديث:

الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذُّرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم قِطَعِ الليل المظلم لا القمر.

ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه؛ وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب.

(١) رواه مسلم.

٨

ظهور القنوات الفضائية

يسبح في الفضاء اليوم ما لا يقلّ عن ثلاثة عشر ألف قناة فضائية، فيها فتن وبلاء، وقد جاءت الإشارة إلى الفتن عمومًا في الحديث السابق «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل..**»، وقد جاء ما يشير إلى فتن القنوات وشرها، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «**ليوشكن أن يُصبَّ عليكم الشرّ من السماء حتى يبلغ الفيافي**، قال: قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله؟ قال: الأرض القفر».

طبق (دش) بجوار خيمة في الصحراء (الفيافي)

والعرب تطلق لفظ «السماء» على كلّ ما على الإنسان، وفي لسان العرب «**السماء كلّ ما علاك فاظلّك**».

والتلفاز اليوم يستقبل ما تمطره الأقمار الصناعية عليه من فتن ومجون، حتى الخيام في القفار والصحاري لم تسلم من هذه الفتنة.

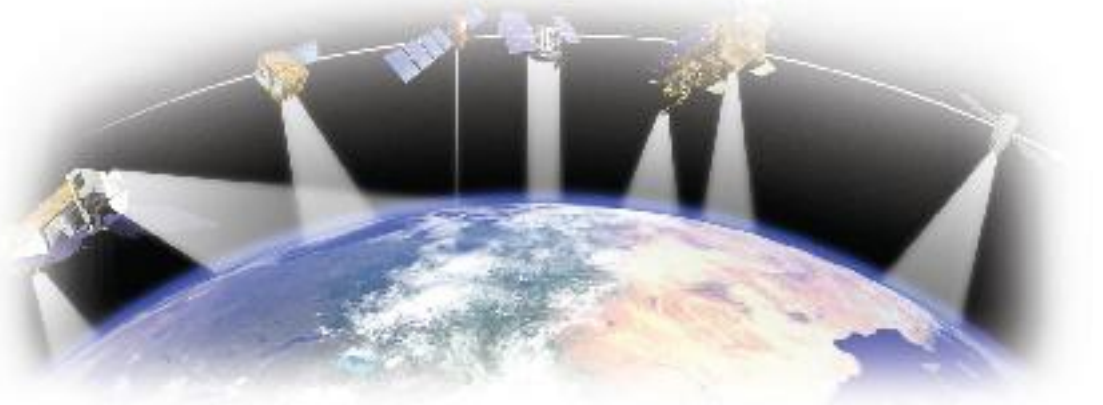

٩

إخباره ﷺ عن موقعة صِفّين

ومن أشراط الساعة أن النبي ﷺ أخبر بحروب ومعارك تقع، سواء بين المسلمين والكفار، أو بين المسلمين أنفسهم، ومن ذلك: معركة صِفّين، وهي معركة وقعت بين علي ومعاوية بعد مقتل عثمان -رضي الله عنهم جميعًا- سنة (٣٦ هـ)، وهي من أشراط الساعة.

موقع معركة صفين

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة»(١).

ذكر موقف أهل السنة من الفتنة بين الصحابة

تنبيه

الصحابة ﷺ بشر ليسوا أنبياء، فيقع من الصحابة ما يقع من بقية الناس من اجتهادات وأخطاء وخصومات بل.. ومعارك.. وقد أجمع أهل السنة قاطبة على أن الصحابة أبرُّ الناس وأصلحهم وأقربهم إلى هدي النبي ﷺ ووجوب الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ والسكوت عما حصل بينهم من خلافات، وعدم البحث والتنقيب عن خلافاتهم، أو نشرها بين العامة؛ لما لها من أثر سيئ في إثارة الفتنة وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم.

ومسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، هو الإمساك عما حصل بينهم ﷺ.

(١) متفق عليه.

١٠

ظهور الخوارج

ومن علامات الساعة خروج بعض الفرق المخالفة لمنهج النبي ﷺ وصحابته الكرام، ومن هؤلاء فرقة الخوارج، وهم قوم كانوا من جماعة علي ﷺ يقاتلون معه، ثم خرجوا عن طاعته بعد مسألة التحكيم بينه وبين معاوية ﷺ، وانحازوا إلى قرية قرب الكوفة اسمها حروراء.

ومن معتقداتهم:

١ تكفير مرتكب الكبيرة (مثل: الزاني، وشارب الخمر، ..) وأنه يخلد في النار، وهذا ضلال مبين، والحقّ أن المسلم إذا ارتكب هذه الكبائر لا يكفر، لكنه يكون عاصيًا فاسقًا بفعلها، وعليه التوبة والإقلاع عن معصيته.

٢ تكفير علي ومعاوية -رضوان الله عليهما- وكثير من الصحابة الذين رضوا بالتحكيم، رضي الله عنهم جميعًا.

٣ الخروج على الحكام الفسّاق الذين لم يثبت وقوعهم في الكفر.

ويدّعون العلم، ويُجهدون أنفسهم بالعبادة، ويجهلون أحكام كتاب الله ومن هؤلاء: ذو الخويصرة الذي قال فيه النبي الله ﷺ: «يمرُقون من الدين كما يَمرُق السهم من الرَّمِيَّة»[١].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «يخرج آخر الزمان قوم أحداث الأسنان[٢]، سفهاء الأحلام[٣]، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم[٤]، يقولون من قول خير البرية[٥]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة»[٦].

بداية ظهور الخوارج:

بعد انتهاء معركة صفين، واتفاق أهل الشام والعراق على التحكيم بين الطائفتين، ورجوع علي ﷺ إلى الكوفة؛ فارقه الخوارج، وكانوا عددهم في جيشه ثمانية آلاف رجل، وقيل ستة عشر ألف رجل، ونزلوا حروراء.

(١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا (أي يوزع مالًا على الناس)، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل. فقال ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال ﷺ: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه (أي ريش السهم) فلا يوجد فيه شيء قد سبق العرث والدم (والمراد هنا أنهم يخرجون من الإسلام ببعض أفعالهم دون أن يتعمدوا كما أن الصياد يرمي صيده كظبي أو غزال فيصيب السهم هذا الغزال ويخرق جسده ويخرج من الناحية الأخرى فيظن الصياد أنه لم يصبه وهو قد أصابه)، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه (أي ما بين مرفقه وكتفه) مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر (أي مثل قطعة اللحم تضطرب وتتحرك) ويخرجون على حين فرقة من الناس» متفق عليه.

(٢) أي صغار السن.

(٣) المراد به صغار العقول

(٤) أي لا يعملون بما فيه.

(٥) أي يروون الأحاديث ولا يفهمون معناها.

(٦) متفق عليه.

فأرسل علي ﷺ إليهم ابن عباس ﷺ فناظرهم[1]! فرجع بعضهم إلى

(١) قصة مناظرة ابن عباس للخوارج:

قال عبد الله بن عباس: لما اعتزلت الخوارج دخلوا دارًا وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا، وقالوا لعلي بن أبي طالب: فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك.

فيقول: دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم أتيته صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة - يعني آخرها - لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم.

فقال: إني أخاف عليك.

فقلت: كلا.

وكنت رجلًا حسن الخلق لا أؤذي أحدًا، فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار.

فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأيديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم.

فقالوا: مرحبًا بابن عباس ما جاء بك؟!

فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم.

فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا؛ فإن الله ﷻ يقول: (بل هم قوم خصمون).

فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه.

فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد وهو أعلم بتأويله.

قالوا: ثلاثًا.

قلت: هاتوا.

قالوا: أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله ﷻ: (إن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله ﷻ؟!

فقلت: هذه واحدة وماذا؟!

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسبِ، ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فقد حل لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحل لنا سبيهم؟!

قلت: وما الثالثة؟!

قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين.

قلت: هل عندكم غير هذا؟

قالوا: كفانا هذا.

قلت لهم: أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقضي هذا فإذا انقضى قولكم أترجعون؟!

قالوا: نعم.

قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وثلاثة أبي: (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم).

وفي المرأة وزوجها: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها).

طاعة علي ﷺ خليفة المسلمين وبقي بعضهم على ضلاله، فخطبهم علي ﷺ في مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: «لا حكم إلا لله»، وقالوا أيضا: أشركتَ وحكمت الرجال، ولم تحكم كتاب الله.

فقال لهم علي ﷺ: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا من رزقكم في الفيء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تُحدِثوا فسادًا.

ثم إنهم تجمعوا وقتلوا من مر بهم من المسلمين؛ فقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، وشقّوا بطن زوجته. فلما علم علي ﷺ سألهم: من قتله؟ فأجابوا قائلين: كلنا قتله. فتجهز علي لقتالهم والتقى معهم في موقعة النهروان فهزمهم شر هزيمة.

فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل؟

قالوا: بل هذا.

قلت: خرجت من هذا؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة رضي الله عنها؟ فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبيها، ونستحل منها ما نستحل من غيرها؛ لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله ﷻ قال: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم).

أخرجت من هذا؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا أنبئكم بما ترضون: أن النبي يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فقال لعلي ﷺ: اكتب لهم كتابًا فكتب لهم علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك تعلم أني رسول الله امح يا علي واكتب «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله» فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه.

فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا". رواه عبد الرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم.

١١

خروج أدعياء النبوة الدجالين الكذابين

من أمارات الساعة وأشراطها خروج الدجالين الكذابين، الذين يدعون النبوة، ويثيرون الفتنة بأباطيلهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين.

فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[١].

وقد وقعت هذه العلامة من علامات الساعة، فخرج كثير من أدعياء النبوة قديمًا وحديثًا، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون إلى أن يظهر الدجال الأعور الكذاب -نعوذ بالله من فتنته- فقد خطب رسول الله ﷺ يومًا فقال: «إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الكذاب»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٣].

كما أخبر النبي ﷺ عن ظهور سبعة وعشرين مدعيًا للنبوة، منهم أربع نسوة، كلهم يدعي أنه رسول الله.

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في أمتي كذابون دجالون، سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وأني خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

وقد ظهر من هؤلاء عدد كبير في الماضي:

١ فادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ الأسود العنسي في اليمن؛ حيث ارتدّ عن الإسلام، وادعى النبوة، وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ، وقد تحرك بمن معه من المقاتلين، واستولى على جميع أجزاء اليمن خلال ثلاثة أشهر أو أربعة، فبعث النبي ﷺ رسالة إلى المسلمين في اليمن، يحثهم على مقاتلته؛ فاستجابوا وقتلوه في منزله، بمعاونة زوجته التي تزوجها قسرًا بعد أن قتل زوجها، وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله ﷺ، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله في اليمن، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ وكان قد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه، وقد دامت فترة ملك هذا الكذاب من حين ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر، وقيل أربعة أشهر.

٢ ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي، وقد قاتله المسلمون مرارا، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ولحق بجيش المسلمين، وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسنا، واستشهد بنهاوند ﷺ.

٣ ومنهم مسيلمة الكذاب، وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام، وقد أرسل إليه أبو بكر الصديق جيشًا بقيادة خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة ﷺ فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه أربعين ألف مقاتل، ودارت بينهم معارك حاسمة، كانت الدائرة فيها على مسيلمة وجيشه، وقتل مسيلمة بيد وحشي بن حرب ﷺ وانتصر الحق وارتفعت راية التوحيد.

٤ ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة بعد موت الرسول ﷺ فالتف حولها أناس كثير من قومها وغيرهم، وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدقته، وتزوجها، ولما قتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.

خالد بن الوليد — مكرمة بن أبي جهل — سعيد بن مقرن
خالد بن سعيد — عمرو بن العاص — حذيفة الغطفاني
عرفجة بن هرثمة — شرحبيل بن حسنة
العلاء بن الحضرمي — المهاجر بن أبي أمية

حروب الردة

٥ وأما في عصر التابعين وما بعده، فظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي تظاهر بالتشيع أولاً، فالتف حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير عدة معارك قُتِلَ فيها المختار.

٦ ومنهم الحارث بن سعيد الكذاب، الذي أظهر التعبد في دمشق، ثم زعم أنه نبي، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجل من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق فأمر الحارث ألا يُحْجِب منه هذا الرجل متى ما أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك، فأرسل معه جنودًا وقبضوا عليه، وجيء به إلى عبد الملك، فأمر عبد الملك رجالًا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويُعلِموه أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب؛ فقتله.

٧ وفي العصر الحديث قبل أكثر من قرن، ظهر بالهند رجل يُدْعى (ميرزا غلام أحمد القادياني)، ادعى النبوة، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله ﷻ أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، وصار له أتباع؛ فانبرى له العلماء وردوا عليه، وبينوا أنه دجال، منهم العالم الكبير ثناء الله الأمرتسري، وكان أشد العلماء عليه.

ميرزا غلام أحمد القادياني

حتى إنه في عام (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) تحدى القادياني الشيخ ثناء الله، بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المُتجلل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء الطاعون، يكون فيه حتفه، وبعد سنة أصيب القادياني بدعوته.

وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله: لما اشتد مرضه أيقظني؛ فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلًا: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

وهكذا يستمر خروج الكذابين واحدًا بعد الآخر، حتى تستوفي عدتهم التي أخبرنا الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، حتى يكون آخرهم المسيح الدجال، الذي يخرج في آخر الزمان - نعوذ بالله من فتنته - وينزل عيسى بن مريم عليه السلام للقضاء عليه وعلى فتنته[1].

إشكال

قد يستشكل البعض بأن النبي ﷺ أخبر أن مدعي النبوة ثلاثون، بينما التاريخ والواقع يشهدان أن العدد أكبر من ذلك.

والجواب: أن هؤلاء الثلاثين هم الذين يكون لهم شهرة ودولة وأتباع، أما غيرهم ممن ليس له كذلك، فلا يُعد من الثلاثين.

(١) سيأتي الكلام عن الدجال والمسيح ابن مريم عليه السلام في العلامات رقم (١)، (٢)، من العلامات الكبرى.

١٢

شيوع الأمن والرخاء

عاش المسلمون زمنًا في مكة والمدينة، وهم ما بين قتال الأعداء وترقّب لحروب ومعارك، فأخبر النبي ﷺ أنه مع تقدم السنين، واقتراب الساعة سيكثر الأمن ويعم الرخاء، فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق[١]، وحتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل»[٢]

ويؤيده قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: «يا عدي هل رأيت الحيرة[٣]». قلت: لم أرها وقد أُنبِئتُ عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة - أي المرأة - ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا الله»[٤].

وسيكثر المال ويفيض - بإذن الله -، ويعم العدل مكان الظلم والجور على زمن المهدي وعيسى عليه السلام، والله أعلم[٥].

(١) يعني لا يخاف من قُطّاع طريق ولا لصوص، وإنما يخاف أن يضل الطريق ويضيع فقط، أما على نفسه وماله فهو آمن.

(٢) رواه أحمد في المسند وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وأوله في صحيح مسلم.

(٣) مدينة في العراق على ثلاثة أميال من الكوفة.

(٤) رواه البخاري.

(٥) سيأتي تفصيل ذلك في العلامات رقم (١٣١) من العلامات الصغرى، ورقم (٢) من العلامات الكبرى.

١٣

ظهور نار من الحجاز

من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ خروج نار من أرض الحجاز من جوار المدينة المنورة، وقد نصّ بعض العلماء والمؤرّخين على أن هذه العلامة عام ٦٥٤ هجرية.

قال الحافظ ابن كثير متحدثًا عنها:

«كان ظهور النار من أرض الحجاز، والتي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى[١]، كما تطق الحديث، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[٢]. وقيل إن النار بقيت ثلاثة أشهر وكانت نساء المدينة يغزلن على ضوئها»[٣]

أثار الحمم المتدفقة من بركان حرة رهط عام ٦٥٤هـ وموقعها من المدينة المنورة

قال أبو شامة واصفًا الواقعة: «لما كانت ليلة الأربعاء ٣ / جمادى الآخرة / ٦٥٤ هـ[٤]، ظهر بالمدينة المنورة دوي عظيم، ثم زلزلة رجفت منها الأرض والحيطان

(١) مدينة حوران في سوريا.
(٢) رواه البخاري.
(٣) البداية والنهاية (١٣ / ١٩٩).
(٤) يوافقه ٢٩/٥/١٢٥٦م.

والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة - موضع في المدينة - قريبة من بني قريظة، تبصرها من دورنا من داخل المدينة، وكأنها عندنا نار عظيمة سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وهي ترمي بشرر كالقصر»[1]

جبل المليساء (الملسا)

بركان حرة رهط الحامد، والذي كانت آخر ثوراته عام (٦٥٤هـ - ١٢٥٦م) والتي سيفشها عدد من الهزات الأرضية العنيفة والانفجارات الشديدة واستمر النشاط البركاني بحسب المصادر التاريخية حوالي اثنين وخمسين يوماً. وانسياب الحمم من منه إلى مسافة ٢٣ كم إلى الشمال من مركز البركان، حيث وصلت حدوده إلى الطرف الجنوبي لمطار المدينة المنورة الحالي. وتوقف انسياب الحمم على مسافة ١٢ كم من المدينة المنورة، ثم تحول إلى الشمال ويبلغ ارتفاعه ٩١٦ مترا عن سطح البحر.

(١) انظر التذكرة (ص ٢٧٠).

١٤
قتال التُرك

تقدم أن من علامات الساعة، حروب ومعارك أخبر النبي ﷺ أنها تقع بين المسلمين وغيرهم، ومن ذلك وقوع معركة بين المسلمين والترك[١]، وقد حصل ذلك القتال في عصر الصحابة، في أول خلافة بني أمية، وهزموا الترك وغنموا منهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف[٢]، كأن وجوههم المجان المطرقة[٣]، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر[٤]»[٥]

صورة لرجل وطفلة من المغول ونلحظ فيها دقة الوصف الوارد بالحديث

الترس: وهو الذي يمسكه المقاتل في يده لينقي به ضربات السيوف والنبوس

(١) كان الترك فئتين وعشرين قبيلة وقد بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا بذلك لأنهم تُركوا خارجين عن السد لم يغلق عليهم مع بقية القبائل. انظر: مرقاة المفاتيح (٩ / ٣٩٢).

(٢) أي الخماص قصبة الأنف وأصراقه.

(٣) المجن الترس، شبه وجوههم بالترس (وهو) بحمله المقاتل في يده يتقي به ضربات السيوف) أي مستديرة وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

(٤) أي من جلود فيها شعر الحيوانات غير مدبوغة.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

والمراد بهم والله أعلم التتار المغول الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية عام (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، وسفكوا الدماء، لكنهم أخيرًا دخلوا في الإسلام.

رسم لفارس مغولي

خريطة (٢) : ظهور مملكة التتار سنة ٦٠٣هـ

من الزي المغولي القديم

خريطة (١٢) : جيوش التتار المشتركة في حصار "بغداد"

لوحة قديمة لمقاتل مغولي

خريطة (١٥) : مملكة التتار بعد احتلال الشام

لوحة قديمة لجنكيز خان موحد قبائل التتار

١٥

ظهور رجال ظلمة يضربون الناس بالسِّياط

ومن علامات الساعة التي أخبر بها نبينا الكريم ﷺ، أعوان الحكام الظلمة، الذين يجلدون الناس بالسياط التي تشبه أذناب البقر، من السياط بأنواعها الجلدية والكهربائية والمطاطية وأغصان الشجر وغيرها.

فعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يكون آخر الزمان، رجال معهم سياط كأذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أمتي لم أرهما.. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس..»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قومًا، يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر»[٣].

وهذا الحديث وإن لم يكن فيه التصريح بأنهم يضربون الناس، إلا أن وضعهم بالسخط واللعنة، قد يشير إلى كثرة اعتدائهم وظلمهم.

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

١٦

كثرة الهَرْج (القتل)

من علامات الساعة التي ذكرها رسول الله ﷺ كثرة القتل، حتى إن الرجل يقتل الرجل لا يدري لِمَ قتله، ولا المقتول لم قُتِل.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي يوم لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتِل». فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج القاتل والمقتول في النار»[1].

وقد بدأ الهرج بمقتل عثمان ﷺ وصارت الحروب تكثر دون أسباب مقنعة، وذهب ضحيتها الألوف من الناس. مع ظهور الأسلحة المدمرة اليوم التي تخدم هذه الحروب الطاحنة.

وهذه إحصائية لقتلى بعض الحروب:

١ الحرب العالمية الأولى: ١٥ مليون قتيل.

٢ الحرب العالمية الثانية: ٥٥ مليون قتيل.

٣ حرب فيتنام: ٣ ملايين قتيل.

٤ الحرب الأهلية الروسية: ١٠ ملايين قتيل.

٥ الحرب الأهلية الأسبانية: ١٢ مليون قتيل.

٦ الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى): مليون قتيل.

٧ غزو العراق: أكثر من مليون قتيل.

وهذه الحروب، وإن كان بعضها لا ينطبق عليه الحديث «لا يدري القاتل فيم قتل..» إلّا أني أوردتها لبيان انتشار القتل وكثرته.

(١) رواه مسلم

١٧

ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب هو عماد بقاء الأمة وصلاح البلاد والعباد ونهضة الحضارة، فإذا ضاعت الأمانة انقلبت الموازين، وفسدت سرائر الناس، وتولى مقاليد الأمور غيرُ الأكفاء؛ فسادت الفوضى، وهذا ما أخبر عن وقوعه النبي ﷺ.

وسبب ضياع الأمانة فساد سرائر الناس.

قال حذيفة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن؛ فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة».

ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ﷺ: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكْت[1]، ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل[2]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط[3]، فتراه منتبرا[4] وليس فيه شيء - ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

(١) الوكت: جمع الوكتة، وهو الأثر اليسير في الشيء كالنقطة فيه، ومعنى الحديث يكون لها أثر في قلبه.

(٢) المجل: قشور رقيقة يجتمع فيها ماء تحت الجلد من أثر العمل كتعبة البئر.

(٣) أي وَرِم وانتفخ والمعنى أنه أندر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يُسلبها حتى يصير خالياً بعد أن كان أمينًا.

(٤) أي مرتفعًا.

قال حذيفة: ولقد أتى علىّ زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلمًا ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه على ساعيه[١] وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا"[٢].

فإذا فسدت سرائر غالبية الناس، ووُكِّل الأمر لغير أهله، فضاعت الأمانة؛ اقتربت الساعة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يُحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين - أُراه - السائلُ عن الساعة»؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة»[٣].

وهذه العلامة منطبقة في واقعنا اليوم تمام الانطباق، فترى كثيرًا من المسئوليات في الوزارات، والجامعات، والمناصب في المجتمع، التي تتعلق بها مصالح الناس، لا يُعيَّن فيها الأقدرُ الأصلح، الأكثر أمانة ومراعاة لمصالح الناس، وإنما يعيَّن فيها من له معرفة بالمسئول الكبير، أو له مصالح مشتركة مع من يؤيده، وما شابه ذلك..

نعم.. «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

(١) أي وليُّه أو وكيله.
(٢) متفق عليه
(٣) رواه البخاري

١٨

اتباع سنن الأمم الماضية

من أعظم الفتن التي ابتُلي بها المسلمون، فتنة التقليد الأعمى، والتشبه المقيت بعادات وأخلاق اليهود والنصارى، أو غيرهم من الكافرين.

وقد أخبر النبي الكريم ﷺ بأن فريقًا من أمته سيقلدون الأمم الضالة من اليهود والنصارى في عاداتهم وطبائعهم وحياتهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع». فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك»[1].

وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقية ذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعُن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع؛ حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[2].

قال القاضي عياض رحمه الله: «الشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل للاقتداء والتقليد لهم»[3].

وتقليد اليهود والنصارى المذموم، ليس المقصود به أن نتبادل معهم التجارب العلمية، ونستفيد من مخترعاتهم والتراتيب الإدارية وغيرها، مما لا يخالف ديننا.

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.
(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٢٨٧).

إنما التقليد المذموم أن تقلدهم في لباسهم، وعاداتهم، وكيفية تعاملاتهم الاجتماعية، من اختلاط ونزع حجاب، أو أنظمتهم المالية المخالفة لديننا، كالربا ونحوه.

١٩
ولادة الأَمَةِ ربَّتها

من علامات الساعة أن تلد المرأة الأمة المملوكة ولدًا يكون له السيادة عليها، وذلك بأن يطأ الرجل الحرُّ أَمَتَه -أي جاريته المملوكة بملك اليمين- فتحمل منه، ثم تنجب ولدًا، فيصبح الولد شابًا حرًا، وأبوه حي وأمه لا تزال أمة مملوكة، فيكون الولد بمثابة السيد لأمه.

ففي حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال ﷺ: «و سأخبرك عن أشراطها: إذاولدت الأمة ربتها»[1].

وقيل المعنى: بأن الإماء يلدن الملوك؛ فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته.

(١) رواه مسلم.

٢٠

ظهور النساء الكاسيات العاريات

ومن علامات الساعة انتشار التبرج والسفور، وخروج نساء يظهرن بألبسة ضيقة، تصف أجسادهن، أو يظهرن بألبسة شفافة تُظهر عوراتهن في الجلوس والمشي، فهن كاسيات من حيث الظاهر، لكنهن عاريات لضيق لباسهن وتجسد عوراتهن، وظهور مفاتنهن.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس[1]، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[2].

«مائلات»: أي منحرفات عن طاعة الله غير مستقيمات على طاعته.

«مميلات»: أي ينحرفن بغيرهن، فهنّ فاسدات مفسدات.

«رءوسهن كأسنمة البخت»: أي تلبس فوق شعرها ما يجعل رأسها كأنه سنام بعير مرتفعًا.

(١) تقدم الكلام عن هذه العلامة برقم (١٥).

(٢) رواه مسلم.

٢١

تطاول الحفاة العراة رعاة الشاء بالبنيان

من علامات الساعة التي ظهرت وأخبر عنها النبي ﷺ تباهي الناس بالعمارات وزخرفة البيوت، بعد أن كانوا حفاة عراة يرعون الغنم.

وذلك بعد فتوحات المسلمين، وكثرة الخيرات والأموال، وشيوع التنافس على الدنيا.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل، ومجيئه لرسول الله ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة، أخبره ﷺ عن أماراتها، وذكر: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان»(١).

وفي رواية: «ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس؛ فذلك من معالم الساعة وأشراطها». قيل يا رسول الله: ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: «العرب»(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣ / ٣٢٢).

ولا شك أن بناء البيوت والعمارات ورفعها ليس حرامًا إذا كان فيه منافع، وليس للفخر والخُيلاء والكبر.

والتطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته وتزويقه، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها.

وكل ذلك واقع في زماننا حين كثرت الأموال وبسطت الدنيا على الناس[1].

والمقصود أن رعاة الغنم من سكان البادية يتركون هذا، ويتجهون للتطاول في البنيان، والتنافس على وجه الكبر والفخر والخيلاء في بناء البيوت، والعمارات، والأبراج، فكلٌ يبتي يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر.

والتطاول في البنيان اليوم عام في العرب وغيرهم، حتى بدأت الدول تتنافس في بناء الأبراج العالية، والتطاول والتفاخر بها.

(١) انظر إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ التويجري (٢ / ١٦٢).

٢٢

تسليم الخامة

شرع الله ﷻ السلام ليكون علامة محبة ووصال بين الناس، فيسلّم الصغير على الكبير، والغني على الفقير، والعربي والأعجمي والأبيض والأسود.. أن تسلم على من عرفت ومن لم تعرف.

قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

ومن علامات الساعة تسليم الخاصة، وهو أن لا يلقي الرجل السلام إلا على من يعرفه، ويدع السلام على من لا يعرف، مع أن السنة أن تفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

وعن أبي الجعد، قال: لقي عبدُالله رجلٌ، فقال: السلام عليك يا ابن مسعود. فقال عبدالله: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «إن من أشراط الساعة، أن يمر الرجل في المسجد، لا يصلي فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف»[2].

وفي الصحيحين أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، وصححه الألباني بطرقه كما في تعليقه على ابن خزيمة.

٢٣ ٢٤ ٢٥

فُشُوُّ التجارة - مشاركة المرأة زوجها في التجارة - سيطرة بعض التجار على السُّوق

وهو انتشارها واشتغال أكثر الناس بها لسهولة أمرها، حتى تشترك المرأة مع زوجها في إدارتها، وقد جاءت هاتان العلامتان في حديث واحد فقد قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»[1].

وعن عمرو بن تغلب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد»[2].

(١) رواه أحمد وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد روي من وجوه يُحمل بمجموعها.

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني في الصحيحة، وأصل فشو المال وكثرته، ثابت في الصحيحين.

وقول النبي ﷺ هنا «يبيع الرجل البيع، فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد» يُفهم منه أن تجارًا كبارًا، ولعلهم أصحاب رؤوس الأموال، أو الوكلاء المعتمدون للسلع تصديرًا أو استيرادًا، لعلّ هؤلاء يسيطرون على السّوق، ويتحكمون في الأسعار، فلا يستطيع التجار الصغار التصرف بتجارتهم إلا بإذنهم.

أو يشترط عند البيع إثبات الخيار لتاجر آخر.

وقوله ﷺ «ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد» مع إخباره ﷺ في أحاديث أخرى بانتشار الكتابة، يُفهم منه انتشار أجهزة الكتابة الحديثة مثل أجهزة الكمبيوتر، والهاتف المحمول، وأجهزة ترجمة الصوت إلى نصوص مكتوبة، وما شابه ذلك.. فينشأ جيل لا يعرف الكتابة باليد أو لا يتقنها.

أو لعلّ المراد بالكتابة هنا، من يكتب عقد التجارة، ويتقن شروط البيع وأحكامه، فيكتب بين الناس احتسابًا غير طامع في مكافأة.[1]

(١) وهذا المعنى الأخير ذكره السندي في حاشيته على سنن النسائي.

٢٦

شهادة الزور

وشهادة الزور، هي أن يكذب الإنسان في شهادته على الآخرين، فيشهد أن فلانًا له حق على فلان زورًا وبهتانًا، وهي من كبائر الذنوب.

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وجلس، وكان متكئًا فقال: «ألا وقول الزور»[١].

وانتشارها وتساهل الناس بها من علامات الساعة، كما ورد في الحديث السابق من قوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة.. وذكر منها: شهادة الزور»[٢].

وشهادة الزور ليست خاصة بالشهادة عند القاضي أو الحاكم، بل هي عامة في كل شهادة، كشهادة الناس بين بعضهم بعضًا، كالموظفين في الشركات والمؤسسات عند مسئوليهم، وشهادة الطلاب في المدارس والجامعات، وشهادة الأولاد عند والديهم.

وقد حذر النبي ﷺ من شهادة الزور أو أكل حقوق الناس بالحلف كذبًا وبهتانًا، فقال: «من اقتطع حق مال مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان» ثم قرأ ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[٣]»[٤].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وحسنه لغيره الأرناؤوط، وروي من وجوه يُحمل بمجموعها.

(٣) آل عمران: ٧٧

(٤) رواه البخاري.

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك»[1].

٢٧
كتمان شهادة الحق

أمر الله ﷻ المسلم أن ينصر أخاه ظالمًا أو مظلومًا، فترد الظالم عن ظلمه، وتستخرج حق المظلوم إن استطعت، وحرم الله ﷻ كتمان الشهادة الحق فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2].

وفي آخر الزمان يأكل الناس حقوق بعضهم البعض، ويسكت من يعرفون الحقيقة عن التصريح بها، ويسكتون عن الحق مع قدرتهم على قوله لكنهم يقدمون مصالحهم الشخصية على أداء الشهادة، وهذه من علامات الساعة، كما في الحديث السابق من قوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة.. وذكر منها: وكتمان شهادة الحق»[3].

(١) رواه مسلم.
(٢) البقرة: ٢٨٣.
(٣) رواه أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط.

٢٨

ظهور الجهل

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتعلم العلم فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١]؛ فصار ﷺ يتعلم ويعلّم الناس.

وذم ﷺ الجهل فقال: «إن الله يبغض كلّ جعظري -أي الغليظ في طبعه- جوّاظ -أي أكول- سخّاب في الأسواق -أي يرفع صوته في الأسواق- جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة»[٢].

وأخبر أن من علامات الساعة فشوّ الجهل فقال ﷺ: «إن بين يدي الساعة لأيامًا يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل»[٣].

وفي رواية: «إن بين يدي الساعة لأيامًا يرفع فيها العلم، ويفشو فيها الجهل»[٤].

وقال: «يأتي على الناس زمان لا يُدرَى فيه ما صلاة؟ ما صيام؟ ما صدقة؟»[٥].

وقال: «بين يدي الساعة.. وذكر منها: ويظهر الجهل»[٦].

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، وحسنه الحويني في الفتاوى الحديثية وفي إسناده عبد الله بن سعيد وثّقه بعض الحفاظ وحديثه مستقيم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الطبراني.

(٦) رواه أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ومن تأمل حال الناس اليوم في كثير من بلدان الإسلام؛ وجد أنهم يعلمون ما يتعلق بمعاشهم ومصالحهم، فيعرف أحدهم كيف يتعامل مع الكمبيوتر، والهاتف المحمول، والسيارة وغير ذلك، بينما لو سألته: ما معنى (الله الصمد)؟.. ما معنى (غاسق إذا وقب)؟.. متى تسجد للسهو قبل السلام، أو بعد السلام؟.. لوجدت رأسه فارغًا..

نعم.. ويظهر الجهل،

حتى أن أحدهم سألني يومًا هل يجب الوضوء قبل صلاة النافلة، أم أن الوضوء واجب لصلاة الفريضة فقط؟! فعجبتُ من سؤاله، وزاد عجبي عندما عرفتُ أنه طالب في المرحلة الثالثة الجامعية!

أضف إلى ذلك جهل كثير من الناس بأحكام الطلاق والنكاح، والبيع والشراء والعبادات، مع شدة حاجتهم إليها، وأظنّ ذلك بسبب كثرة المُلهيات، واشتغال الناس بأمر معاشهم، وهجرانهم لحلق العلم، ومجالس العلماء، وقراءة الكتب الشرعية..

والله المُستعان.

٢٩ ٣٠ ٣١
كثرة الشُح والبُخل - قطيعة الرَحِم - سُوء الجِوار

من علامات الساعة شيوع أمراض نفسية تفتك بالمجتمع الإسلامي، منها الشح.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يظهر الشح»[١].

وعن أنس ﷺ أن رسول ﷺ قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا يزداد الناس إلا شُحًا»[٢].

وقال ﷺ «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقى الشُح، ويكثر الهرج»[٣].

و «الشح»: بخل مع حرص، وكل ما يمنع النفس من بذل مال، أو معروف، أو طاعة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخوّن الأمين ويؤتمن الخائن، ويهلك الوعول، ويظهر التحوت». فقالوا: يا رسول الله وما الوعول وما التحوت؟ قال:

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

(٢) رواه ابن ماجة من حديث أنس، وسنده ضعيف، وفيه محمد الجندي، وخبره منكر، أنكره النسائي وغيره.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد والحاكم في المستدرك وصححه.

«الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يُعلم بهم»[١].

وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ فنرى الفساد ظاهرًا بين كثير من الناس، كما نرى التقاطع وسوء الجوار حاصلًا بينهم، وحلَّ التباغضُ والتنافرُ بينهم محل المحبة والصلة والمودة، حتى إن الجار لا يعرف جاره، والقريب لا يعرف عن بعض أرحامه، هل هم من الأموات أم من الأحياء.

٣٢
ظهور الفحش

والفحش هو التساهل باللباس العاري، والألفاظ القبيحة التي يُستحيا منها، والسباب واللعان البذيء.. ولم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا.

ومن علامات الساعة ظهور الفحش، قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش...»[٢].

(١) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢١١).
(٢) تقدم تخريجه مع العلامة السابقة.

٣٣
تخوين الأمين، وائتمان الخائن

وهذا من علامات الساعة، وقد تقدم أن من علاماتها رفع الأمانة[١]، وأن يُوسَّد الأمر لغير أهله، ومن علاماتها: تخوين الأمين؛ وهو أن يُشكّ فيه، ولا يوثق في أمانته وصدقه، بينما يوثق في الكاذب والمنافق المتملق المتزلف الخائن. قال ﷺ «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى.. وذكر منها: ويخوّن الأمين، ويؤتمن الخائن»[٢].

٣٤
هلاك الوعول وظهور التحوت

الآلاف يلتفون حول أحد المطربين ويحملونه على الأعناق

وهذا من علامات الساعة أن يموت أشراف الناس، وحكماؤهم، وعقلاؤهم، وعلماؤهم، ثمّ يظهر بديل، فيظهر التحوت وهم جهال الناس وغوغاؤهم، لأنه خلا لهم الجو.

(١) انظر علامة رقم (١٢).
(٢) تقدم تخريجه مع العلامة قبل السابقة.

قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى.. وذكر منها: ويهلك الوعول، ويظهر التحوت». فقالوا: يا رسول الله وما الوعول وما التحوت؟ قال: «الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم»[1].

وقد يكون ظهور التحوت باعتلائهم المناصب، وخدمة وسائل الإعلام لهم، وكثرة المطبلين حولهم، والوعول النجباء العقلاء الناصحون محجوبون عن الناس، مُبعدون عن وسائل الإعلام.

فلا يشتهر بين الناس إلا من امتهن الغناء والرقص والبغاء، أما العالم والمُخترع والبارز في طب وهندسة.. وما شابه ذلك فلا مكان له.

وهذه علامة ظاهرة بيّنة.

وإن كان الناس لا يزالون لهم إقبال على المحاضرات الدينية، وترى في أكثر البلدان إكرام المسلمين للعلماء والدعاة، وحرصهم على مجالس الذكر، ومتابعة البرامج الفضائية الدينية، والقنوات المحافظة تزيد يوماً بعد يوم، بل حتى إقبال غير المسلمين على المحاضرات الدينية أمر ملاحظ، وحصل به نفع كثير.

(١) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط وصححه الألباني.

٣٥

عدم المبالاة بمصدر المال من حرام أم من حلال

إذا قل ورع المسلم قل دينه، وإذا قل دينه وقع في الشبهات، ثم يقع في الحرام فلم يعد يبالي بمصدر ماله، أهو من حلال أم من حرام؟، وقد وقع هذا في زماننا مصداقا لما قاله رسول الله ﷺ.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»[1].

وإذا تأملت اليوم وجدت أن كثيرًا من الناس يتكالبون على جمع المال من كل وجه، حلال أو حرام.

من أجل ذلك انفرط العقد، وتساهل الناس بالوظائف والتجارات المحرمة، كالذي يتاجر ببيع الدخان أو الخمور أو بيع ملابس النساء العارية أو يتعامل بالربا أو يؤجر محلاته لمن يمارس تجارة محرمة، وقد قال ﷻ: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2].

والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وكل لحم نبت من سحت وحرام فالنار أولى به.

(١) رواه البخاري.
(٢) المؤمنون: ٥١

وصار الذي يتحرّز ويتقي الشبهات غريبًا بين الناس، مثاليًا أكثر من اللازم، بل ربّما لا يستمرّ في منصبه أو وظيفته إن كان لا يقبل الرشاوي، والنبي ﷺ يقول: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»[1].

نسأل الله الهداية والثبات على الدّين.

٣٦
أن يُتّخذ الفيءُ دولًا

الفيءُ هو ما يغنمه المجاهدون من مال وغيره، من غير قتال، إما بهرب العدو، أو استسلامه، ونحو ذلك، فهذه تُقسم كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[2].

فأمر الله بقسمته كما شرع، حتى لا يستحوذ عليه الأغنياء غالبين للفقراء.

وفي آخر الزمان يخالف الناس قسمة الله ﷻ، ويتقاسم الفيء الأغنياء والرؤساء يتداولونه بينهم.

كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا اتُّخذ الفيء دُولًا، والأمانة مغنمًا، ...»[3] وسيأتي بتمامه[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الحشر: ٧

(٣) رواه الترمذي، وفي سنده مقال.

(٤) انظر العلامة رقم (٣٧) من العلامات الصغرى.

٣٧
أن تكون الأمانة مغنمًا

أمر الله ﷻ بحفظ الأمانة وردّها لأصحابها كما هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1].

وفي آخر الزمان ستُعطى الأمانة من مال أُوهب للرجل ليحفظها فيعتبرها غنيمة يملكها ويجحد صاحبها ولا يردّها إليه.[2]

٣٨
أن لا تطيب نفوس الناس بإخراج زكاتهم (والزكاة مغرمًا)

الأصل أن تطيب النفس بإخراج زكاة المال والذهب وغيرها لأنها طُهرة للمال وقربة إلى الله ﷻ وليست ضريبة ولا غرامة.

وفي آخر الزمان ينتشر الجشع والشحّ فيشعر بعض الأغنياء وهو يدفع زكاة ماله أنها غرامة تؤخذ رغمًا عنه، فيدفعها بدون طيب نفس فلا يؤجر عليها لعدم النية الصالحة في ذلك.

(١) النساء ٥٨.
(٢) هذه العلامة وما بعدها يجمعهما حديث واحد سيأتي في العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.

٣٩
تَعلُّم العلم لغير الله

الأصل أن يتعبد الإنسان بتعلم العلم الشرعي ونشره وتعليمه، قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[١].

وفي آخر الزمان سيتعلم أقوام علم القرآن والسنة والفقه لغير وجه الله ﷻ، بل للظهور والشهرة وما شابه ذلك.

كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا اتُّخذ الفيء دُولًا.. وتعلّم لغير الدين، ...»[٢] وسيأتي بتمامه[٣].

٤٠
طاعة الزوجة وعقوق الأم

وهذا من علامات الساعة، أن يعُق الرجل أمه ويقرّب زوجته ويطيعها في معصية أمه وعقوقها، أو الأب في كثير من الأحيان، وهذا ظاهر اليوم، فترى الأم في كثير من الأحيان تسكن في بيت وحدها لا يكاد يراها

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي وفي سنده مقال.
(٣) انظر العلامة رقم (٢٥) من العلامات الصغرى.

أبناؤها أو يزورونها إلا قليلًا، والزوجة والأبناء في عز وفسحة ونزهة وأسفار..

وإن سكنت الأم أو الأب مع الأولاد لم يكن لهما من الحظوة والاهتمام ما لغيرهما..

كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا اتُّخذ الفيء دُولًا.. وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، ...»[1] وسيأتي بتمامه[2].

٤١
إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء

وهذا من أمارات الساعة أيضًا ومن العقوق، وهو أن تكون المجالسة والمؤانسة والابتهاج للأصدقاء والزملاء، ويُهمل الآباء.

وربّما كان استمتاع الشباب وأنسه بمجالسة أصدقائه أكثر من أنسه بمجالسة أبيه، خاصةً إن كان الأب كبير السنّ، كثير اللوم والتوجيه والانتقاد، لكن مع ذلك ينبغي أن يعرف الولد لأبيه حقه ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

(١) رواه الترمذي وفي سنده مقال.
(٢) انظر العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.

٤٢
رفع الأصوات في المساجد

الأصل أن المساجد تكسوها السكينة والوقار، ومن علامات الساعة رفع الصوت، والجدال، والخصومات في المساجد.

٤٣
سيادة الفسّاق على القبائل

الأصل في الولايات والسيادة أن يتولى الأصلح الأعلم الأحكم، وسيأتي زمان يسود الفاسق ويرأس قومه، إما لكثرة ماله وعلاقاته، أو لبجاحته وجرأته، أو علوّ نسبه وحسبه.

٤٤
يكون زعيم القوم أرذلهم

وهذا مشابه لما قبله، وهو أن يتزعم على القوم إن كانوا في سفر، أو اجتمعوا في عمل، أو قضيّة، يتزعم عليهم ليس الأصلح والأحكم، وإنما الأرذل.

وذلك إمّا لفساد الزمان أصلًا، أو غلبة الأراذل.

٤٥
إكرام الرجل اتقاء شره

وذلك لتزعُّم أهل الشرور وظهورهم، حتى يضطر الناس لإكرام الرجل وتصديره، وربما احترامه وتقبيل رأسه لاتقاء أذاه وشرّه، لشدة ظلمه واعتدائه.

ويشهد لهذه العلامات جميعًا ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اتُّخِذَ الفَيْءُ دُوَلًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظام بالٍ قُطِع سلكه فتتابع»[1].

(١) رواه الترمذي، وقال حديث غريب، والحديث في إسناده زميع الجذامي، لا يُعرف وله شاهد عن علي ﷺ في إسناده الفرج بن فضالة، وآخر عند الطبراني عن عوف بن مالك وفيه عبد الحميد بن إبراهيم.

٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩

استحلال الجِرّ والحرير والخَفر والمَعازِف

من المحرمات الواضحة التي لا يجهل حرمتها مسلم: الزنا، وشرب الخمر، والمعازف الماجنة، ولبس الحرير للرجال، وقد أخبر النبي ﷺ أن فريقًا من أمته سوف يستحلون هذه المحرمات آخر الزمان، وعدّ ذلك علامة لقرب قيام الساعة.

ومعنى استحلالهم لهذه المحرمات، أحد شيئين:

١ اعتقاد حل هذه الأمور، وأنها ليست حرامًا.

٢ أو اعتياد فعلها وانتشارها بين الناس حتى تصبح لا تنكرها الألسن ولا القلوب، فلا يستشعر الناس حرمتها أثناء فعلهم لها.

استحلال الحرير للرجال

عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الجِرّ[1] والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم[2] يروح عليهم بسارحة لهم[3]، يأتيهم -

(١) الجر: بكسر الحاء المعجمة.
(٢) أي عند جبل عالي.
(٣) هي الغنم التي تسرح في النهار في مراعيها وتعود ليلًا لمكانها.

يعني الفقير - لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدا، فيُبيّتهم[1] الله ويضع العلم[2]، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[3].

وقد تساهل عددٌ من بلدان المسلمين اليوم بالزنا والخمر، فأصبحت دور الزنا والدعارة تُحمى باسم القانون، وتُصدَّر للبغايا المتهنات الزنا بطاقات رسمية.

أما الخمر فبلغ الأمر الآن ببيعها جهارًا نهارًا واقرار بعض الدول العربية والإسلامية التجارة بها في الأسواق.

انتشار تجارة الخمور في الدول الإسلامية

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير»[4].

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضًا ما بُلِيَ به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وهذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن

(١) يهلكهم الله ليلًا.
(٢) أي يرفع الجهل العالي على رؤوسهم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن بإسناد صححه ابن القيم.

ذكر الله وعن الصلاة، وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾[1].

وفسر أهل العلم ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ بأنه الغناء وآلات اللهو.

وقد قرن النبي ﷺ سماع المعازف بالزنا وشرب الخمر فقال: «ليكونن من أمتي أقوام يَستحِلُّون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف».

ومن شدة انتشار المعازف اليوم أُنشِئَت لها قنوات فضائية خاصة تقدم الأغاني بأنواعها، وكذلك قنوات إذاعية مخصصة للمعازف والغناء لمدة ٢٤ ساعة في اليوم، لا تقطع لا بأخبار ولا قرآن، وهذا من علامات الساعة، ومن دلائل صدق خبره ﷺ فيجب على المسلم أن يَحذَر من ذلك..

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الغناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبِت الماء الزرع».

(١) لقمان: ٦

٥٠

تَمني الناس الموت

أخبر النبي ﷺ عن مجيء زمان يكثر فيه الظلم والفتن والبلاء حتى يمر الرجل بقبر صاحبه فيتمنى أن يكون هو صاحب القبر بدلًا من صاحبه الذي فيه، لما يلاقي من البلاء والمحن وتخلُّصًا من واقعه الأليم الذي هو أشد من الموت مرارة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه».

ولا يتعارض هذا الحديث مع الأحاديث التي تنهى عن تمني الموت كقوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به..»[2] وذلك لأن ما ذكر النبي ﷺ أنه يقع في آخر الزمان هو ليس تمنيا ودعاء صريحا بالموت، وإنما رغبة داخل القلب بالتخلص من الواقع المليء بالمنكرات وبالفتن ولو بالموت.

وليس شرطًا أن يكون هذا الشعور يقع في قلب كل مسلم آخر الزمان، بل قد يكون في بلد دون بلد، وظروف دون ظروف، فالناس يتنوعون في إيمانهم، وقوة تحملهم للبلاء وصبرهم على المنكرات.

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.

٥١

مجيء زمان يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا

أخبر النبي ﷺ بتقلب أحوال الناس وتذبذبهم واختلافهم لكثرة الفتن، وانتشار الشهوات، وقلة أهل الخير فترى الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا لا يثبت على حال.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقِطَع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا»[1].

والمراد بالحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم قِطَع الليل المظلم لا المقمر. ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب"[2].

وهذا وصف لزمان يضعف فيه دين الرجل وتكثر عليه الشبهات في دينه مع جهله بدينه أصلًا فيترك دينه أو يتزعزع ثباته على الدين بعرض دنيوي ومصلحة شخصية، وأصدق واقع لهذا الحديث هو عصرنا الحاضر.

(١) رواه البخاري.
(٢) انظر شرح مسلم للنووي.

٥٢

زخرفة المساجد والتباهي بها

الأصل أن المساجد دور لعبادة الله ﷻ، يبنيها العبد احتسابا للأجر والثواب.

لكن في آخر الزمان سيبني عدد من الناس المساجد ويزخرفونها، ويتباهى كل شخص بجمال وزخارف المسجد الذي بناه، وربما أظهروا ذلك في وسائل الإعلام، فتنصرف قلوب المصلين عن العبادة إلى النظر في الزخارف.

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[1]

وقد حذر عدد من الصحابة من الانشغال بتزيين المساجد، والانشغال بذلك عن عمارتها بالعبادة والذكر والطاعة، قال ابن عباس: «لتزخرفنها كما زخرفها اليهود والنصارى»[2]

قال البغوي: «التشييد رفع البناء وتطويله وإنما زخرفت اليهود والنصارى معابدها حين حرفوا كتبهم وبدلوها»[3].

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة بسند صحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود.
(٣) انظر فتح الباري (٢ / ١٧٥).

وقال الخطابي: «وإنما زخرفت اليهود والنصارى كنائسها وبيعها حين حرفت الكتب وبدلتها فضيعوا الدين وعرجوا على الزخاريف والتزيين»[1].

وزخرفة المساجد اليوم لها صور، منها:

نقش الجدران بالألوان والأصباغ المختلفة، ووضع التصاوير وأنواع السجاد والنقوش والقناديل المزينة المبالغ فيها.

إلى درجة أنك لو جمعت قيمة الزخارف وتكاليف الثريات الباهظة الثمن، لكانت كافية لبناء عدة مساجد، ولا يعني هذا إهمال المساجد وفرشها الفرش الحسن، أو بناءها على أشكال ضعيفة أو هشّة، وإنما المنهي عنه المبالغة في التزيين والإسراف في ذلك، عن أبي الدرداء ﷺ قال: «إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم»[2].

(١) نقله عنه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤ / ٢١).

(٢) رواه ابن أبي داود في (المصاحف) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٥).

٥٣

زخرفة البيوت وتزيينها

كثرة الترف والإسراف والتباهي والتكبر أمور مذمومة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1]، وفي آخر الزمان يتباهى الناس بالستائر الثمينة المطرّزة المجمّلة المعلقة على جدران بيوتهم.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتا يُوَشّونها وَشْيَ المراحيل[2]»[3].

ومعنى الحديث: يخططونها ويزخرفونها كما تخطط وتزخرف الثياب.

ولا يعني هذا حرمة وضع الستائر، أو تزيين البيوت، إنما المحرم هو الإسراف في ذلك وتبذير الأموال، والخيلاء والمفاخرة بهذا.

---

(١) الأنعام: ١٤١.

(٢) مراحيل: جمع مرحل وهو الثوب المزين المخطط. انظر لسان العرب (١١ / ٣٥٦).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٧٩).

٥٤

كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة

وهذا أيضًا من علامات الساعة ويكثر موت الناس قتلًا بالصواعق.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صُعِق قِبَلكم[1] الغداة فيقولون: صعق فلان وفلان وفلان»[2].

والصاعقة هي شحنة كهربائية كبيرة تنطلق من السماء مع الرعد والبرق.

وقد أهلك الله ﷻ قوم ثمود بالصاعقة.. قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

ولقوة هذه الصاعقة سماها الله ﷻ بالطاغية، فقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾[5].

(١) قِبَلكم: أي من مات مصعوقًا من جهتكم.
(٢) رواه أحمد وفيه محمد بن مصعب ضعيف.
(٣) فصلت ١٧
(٤) فصلت ١٣
(٥) الحاقة ٥

٥٥

كثرة الكتابة وانتشارها

كانت الكتابة والكتب غير منتشرة، بل عدم الكتابة ظاهرة بين الناس، فأخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة ظهور القلم وانتشار الكتب والكتابة.

فعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»(١)

ولعل المعنى من قوله ﷺ «وظهور القلم» أي ظهور الكتابة والكتب الكثيرة بانتشارها وطبعها، حتى تصبح ميسورة لدى أغلبية الناس؛ بسبب توفر وسائل الطباعة والتصوير والنشر الحديثة، ورغم هذا كله تجد الجهل متفشيًا بين الناس بأمور شريعتهم ودينهم.

ويؤيد هذا أيضا حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد»(٢)

وهذه العلامة ظاهرة للعيان لكل من تأمل أحوال الناس في معرفة أمور دينهم، نسأل الله للجميع الفقه في الدين.

(١) رواه أحمد وحسنه الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه على المسند.
(٢) متفق عليه.

٥٦

اكتساب المال باللسان والتباهي بالكلام

ليس عيبًا أن يكتسب المرء المال أو ينال الدنيا بالطرق المشروعة، ومن ذلك التكسب المشروع عن طريق البيان والكلام والحجة، كما يفعل المحامي والمعلّم، وغيرهم، فجل اعتمادهم على ذلك.

لكن المذموم أن يأكل الإنسان الدنيا بلسانه، إما بكثرة المدح والثناء بالباطل لمن لا يستحقّه، أو بالحلف الكاذب في البيع والشراء، أو الكذب.. وما شابه ذلك.

كان لعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه حاجة، فقدم بين يدي حاجته كلامًا، مما يحدث الناس من البلاغة والسجع والثناء يتوصلون به لقضاء حاجاتهم، لم يكن سعد يسمعه من قبل. فلما فرغ، قال سعد: يا بني، قد فرغت من كلامك؟ قال: نعم. قال: ما كنتَ من حاجتك أبعد، ولا كنتُ فيك أزهد مني منذ سمعت كلامك هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة من الأرض»[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار ويوضع الأخيار ويقبح القول ويحسن العمل وتفري[2] في القوم المساءة». قلت: وما المساءة؟ قال: «ما كتب سوى كتاب الله»[3].

(١) رواه أحمد وحسنه الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه على المسند.

(٢) أي تنتشر.

(٣) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح.

٥٧
انتشار الكتب غير القرآن

وهذا أيضًا من علامات الساعة أن يزداد إقبال الناس على الكتب فتُشترى وتُطبع وتُسوّقها المكتبات، أكثر من كتاب الله (المصاحف).

ويشهد لهذا الحديث السابق، وفيه قال ﷺ: «من اقتراب الساعة.. وتفشي في القوم المسامة». قلت: وما المسامة؟ قال: «ما كتب سوى كتاب الله».

٥٨
زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء والعلماء

أخبر النبي ﷺ أنه من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «سيأتي زمان تكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج». قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول»[1]

ويزداد الأمر سوءًا إذا قُبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يَبْقَ عالم اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلوا وأضَلُّوا.

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط وله شواهد في الصحيحين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضَلوا وأضَلُّوا»(١).

والمراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جُهالًا يحكمون بجهالاتهم فيَضِلون ويُضِلون. وخلال السنوات العشر الماضية فُجعت الأمة بموت عدد من علمائها الذين كان لهم الأثر الأكبر في تعليم العلم للناس.

فتوفي الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عام (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، وتوفي الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين عام (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، وتوفي الشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني عام (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). وغيرهم من أجِلّة أهل العلم.

الشيخ بن باز

الشيخ بن عثيمين

الشيخ الألباني

ومن تأمل أحوال الأمة اليوم رأى تنافس عدد من الناس والشباب في تحسين الأصوات بقراءة القرآن وترتيله والتغني به وتحسين الصوت، والغفلة عن طلب العلم الشرعي وإتقان أحكام الشريعة، ولو سألت أحدهم عن مسألة في الطهارة أو سجود السهو لما وجدت عنده شيئًا من علم.

(١) متفق عليه.

٥٩
التماس العِلْم عند الأصاغِر

من عهد النبوة والناس يلتمسون العلم من كبار العلماء والفقهاء، وسيأتي زمان يتصدر فيه الأصاغر من ضعيفي الفهم، قليلي الفقه والعلم، ويستفتيهم الناس، فيُفتون، وتقدم في الحديث السابق أن من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء حتى يُلتمس العلم من الأصاغر الجُهلاء فيُفتون فيَضِلون ويُضِلون غيرهم.

وعن أبي أمية الجمحي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر»[1]. فسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر فقال: «هم الذين يقولون برأيهم». أي لا يتثبتون من علمهم ولا يدققون في فتواهم ولا يستدلون بالأدلة الشرعية. وقيل إن الأصاغر أهل البدع.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قوله: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».

لكن في زمننا لا زال العلم وأهله بخير والحمد لله وإن كان المتأمل يجد أن الإعلام أظهر وأشهر عددًا من طلبة العلم الصغار الذين يعرفون عموميات الإسلام ويُتقنون المسائل المشهورة، لكنهم ليسوا حفاظًا ولا فقهاء، ولكن ظهروا بين الناس، فأقبل الناس يستفتونهم ويلتمسون العلم منهم، ولو أن العلماء الكبار ظهروا للناس في وسائل الإعلام من فضائيات وإذاعات ومواقع إنترنت لعرفهم الناس واستفتوهم وأقبلوا عليهم.

(١) رواه ابن المبارك في "الزهد" (٦١)، بسند صحيح.

وهذا على الأغلب، فكما أن الكبر والهرم ليس أمارة على العلم، كذا فالصغر ليس أمارة على الجهل، قال الإمام أحمد بن حنبل «إن العلم ليس بالسنّ» وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «إن العلم ليس عن حداثة السن أو قدمه ولكن الله يضعه حيث يشاء».

لذلك فالواجب على من تصدّر للناس واشتهر أن يسعى لتحويل نفسه من أصاغر إلى أكابر بطلب العلم وإتقانه وفهمه والارتباط بالعلماء الكبار.

٦٠
موت الفجأة

لاعب مات أثناء إحدى المباريات

من علامات الساعة التي ظهرت في عصرنا كثرة موت الفجأة وهو الموت المفاجئ بسكتة قلبية أو جلطة، أو حادث سيارة، أو سقوط طائرة.

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة»[1]

ولقد كان في الماضي يشعر الرجل ويحس بمقدمات الموت، ويبقى أيامًا مريضًا، وقد يعرف أن هذا مرض الموت، فيكتب وصيته، ويودع أهله، ويوصي أولاده، ويُقبل على ربه، ويتوب مما سلف منه، ويبدأ في ترديد الشهادة، ليُختم له بها.

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٥).

أما الآن، فترى الرجل صحيحًا معافى، لا يشتكي من شيء البتة، ثم تسمع خبر وفاته فجأة بسكتة قلبية أو جلطة مفاجئة، ومثله الحوادث المفاجئة، التي يهلك بها الناس فجأة، فعلى العاقل أن يكون دائم اليقظة والاستعداد للموت ولقاء الله.

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة
كم من صحيح رأيتُ من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

٦١
إمارة السفهاء

صلاح عامة الناس بصلاح أمرائهم، وفسادهم بفساد أمرائهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن توسد الأمور إلى أمراء سفهاء الأحلام لا يهتدون بالكتاب والسنة، ولا ينتصحون بموعظة.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء». قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم

وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يَرِدون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي. يا كعب بن عجرة: الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة، والصلاة قربان -أو قال برهان-. يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت على سحت أبدا النار أولى به. يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها -أو قال موبقها-»[1].

والسفيه هو خفيف العقل قليل التدبير الذي لا يحسن تدبير شؤون نفسه فضلا عن شؤون غيره والسفه في اللغة: الخفة.

وفي حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها»[2]. والمنافقون قليلو الإيمان، عديمو الخشية، كثيرو الكذب، عظيمو الجهل..

وإذا صار ملوك الناس وأمراؤهم ورؤوسهم على هذه الحال، انعكست سائر الأحوال، فصُدّق الكاذب، وكُذّب الصادق، وائتُمن الخائن، وخُوّن الأمين، وتكلّم الجاهل، وسكت العالم.

قال الشعبي: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا، والجهل علما».

وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار، ويرفع الأشرار»[3].

(١) رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح
(٢) رواه الطبراني وفيه مقال.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك.

٦٢

تقارُب الزمان

أخبر النبي ﷺ أن من علامات قرب الساعة أن يتقارب الزمان،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج». قيل: يا رسول الله وما الهرجُ؟ قال: «القتل القتل»[1].

وللعلماء في قوله ﷺ: «يتقارب الزمان» أقوال، منها:

١ أن المراد به قلة البركة في الزمان بحيث إن ما كان يفعله السابقون في ساعة من قضاء لحاجاتهم وأعمالهم، لا يستطيع المتأخرون فعله في ساعات.

قال ابن حجر: «قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا»[2].

٢ ومنها تقارب أهل الزمان بسبب توفر الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية التي قربت البعيد.

٣ ومنها مرور الزمان وسرعته سرعة حقيقية، وذلك في آخر الزمان، لأن الله تعالى يطوّل الأيام كما يشاء ويقصرها كما يشاء، يقلب الله الليل والنهار.

(١) متفق عليه.
(٢) انظر فتح الباري (١٣ / ٦٦).

يؤكد ذلك أيام الدجال حيث تطول فيصبح اليوم كالسنة وكالشهر والجمعة في الطول، فكما أنها تطول فإنها تقصر، وهذا لم يظهر بعد.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، والساعة كالضرمة من النار»[1] والمعنى أن الساعة من الزمان في ذلك الوقت تكون كنار السعفة تشتعل سريعًا وتنتهي.

٤ وقيل أيضا عن تقارب الزمان قصر الأعمار.

٦٣
أن ينطق الرويبضة

الأصل أن يكون المتحدث عن الناس المعبر عنهم هو الإنسان العاقل الحكيم الفصيح، وسيأتي زمان يفسد الناس فيكون المتحدث باسم الناس المعبّر عنهم هو الرويبضة، وهو الرجل التافه السفيه.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»[2].

فمن علامات هذا الزمان ارتفاع الأسافل من الناس على خيارهم فيكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلهم، وهذا أمر شائع في زماننا.

(١) رواه أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة وأنس، وهو حديث صحيح.
(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد وفي أحسنها ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

فالواجب أن يكون أهل العلم والعقل والخبرة هم المُقدّمون على غيرهم في تولي أمور الناس وسياستهم، والمتأمل لأحوال الناس يجد أن الناس اليوم يميلون مع أهوائهم وتحقيق مصالحهم ولو على حساب دينهم، لذا جعلوا السفهاء رؤوسًا.

٦٤

أن يصبح أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع

من علامات الساعة مجيء زمان يصدق فيها الكاذب ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن ويخون الأمين، ويلي أمر الناس السفيه ويوسد الأمر لغير أهله. فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لُكَع»[1].

وقال ﷺ «يوشك أن يغلب على الدنيا لُكَع ابن لُكَع»[2].

وقال ﷺ «لا تذهب الدنيا حتى تصير للُكَع ابن لُكَع»[3].

و «لكع بن لكع»: هو الرديء الذي لا يُخمد على خلق. وعند العرب هو العبد السيء، واستعمل اللكع في الدلالة على الحمق والجهل، ولذا يقال للرجل لكع وللمرأة لكاع.

فيصبح هذا هو أسعد الناس بالدنيا من مالٍ وجاهٍ ومراكب فارهة وبيوت واسعة؛ لأنه لكع، ويكتسب المال بكل سبيل، ويتصرف مع الناس على أهوائهم. فحصّل الدنيا.

(١) رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير الوليد بن عبد الملك بن مسرح وهو ثقة.

(٢) رواه أحمد موقوفًا، والطحاوي في مشكل الآثار.

(٣) رواه أحمد، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة.

٦٥

اتخاذ المساجد طرقًا

والمعنى أن يمر الرجل بالمسجد ليَنْفُذ إلى الجهة الأخرى دون أن يكون من أهل الصلاة والمساجد، فصارت المساجد تستعمل طرقًا أكثر من استعمالها للصلاة.

مساجد تستخدم للسياحة الداخلية والخارجية أكثر من الصلاة فيها

٦٦ ٦٧

غلاء المهور ثم ترخص - غلاء الخيل ثم ترخص

قال خارجة بن الصلت البرجمي: «خرجنا مع عبد الله من داره والإمام راكع فركعنا ثم مشينا حتى اتصلنا بالصف فمر رجل فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن. فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، فلما قضينا الصلاة قلنا: يا أبا عبد الرحمن كأنه راعك تسليم الرجل؟ قال: أجل كان يقال: إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقا[1]، وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة، وأن تتجر المرأة والرجل جميعًا، وأن تغلو النساء والخيل جميعًا ثم ترخص فلا تغلو أبدًا»[2].

(١) أي كثيرا نمر فيها.

(٢) رواه الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود وصححه، ورواه الطبراني من حديث العداء بن خالد، قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم.

٦٨

تقارب الأسواق

أخبر النبي ﷺ بزماننا هذا الذي تقاربت فيه المسافات وأصبح السير من سوق إلى سوق ميسورًا وبمدة قصيرة يستطيع الإنسان التجوال في الأسواق العالمية ومعرفة ما جرى فيها من زيادة ونقصان، كل ذلك بسبب تقارب أهل الأرض وتقدم وسائل النقل بين المدن من طائرات وسيارات وغيرها، وتطور وسائل اتصال من تليفونات وإذاعات هوائية مرئية وصوتية وانترنت.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق»[1].

فقد تقاربت الأسواق من ثلاثة أوجه:

- الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.
- الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جدًا.
- الثالث: مقاربة بعضها بعضًا في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان. والله أعلم.

و الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- فسر تقارب الأسواق في حديث أبي هريرة السابق بقوله[2]: «الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٢٢).
(٢) نقلا من تعليقه على الفتح.

وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم».

٦٩
تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

من العلامات التي تقع آخر الزمان قريبًا من الساعة تكالب الأمم على الأمة الإسلامية لكن الله ﷻ حافظ هذه الأمة.

والذي يتصفح التاريخ يجد أن أمة الإسلام خاضت حروبا كبرى، وقعت عليها مصائب، والله حافظها ومؤيدها. فقد اجتمع النصارى في الحروب الصليبية فنصر الله المسلمين عليهم. واجتاح التتار الدول الإسلامية ورد الله كيدهم. وفي عصرنا تمالأ الصليبيون واليهود، والأمل بالله كبير في عودة المسلمين لدينهم ليعود النصر لهم، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[1]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[2].

عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن» قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[3].

(١) الحج: ٤٠
(٢) المجادلة: ٢١
(٣) حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٥٨).

و «القصعة»: وعاء يؤكل فيه، وكان يتخذ من الخشب غالبا.

و «الغثاء»: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره.

و «الوهن»: فسره النبي ﷺ بحب الدنيا وكراهية الموت.

وهذا الحديث من دلائل النبوة وعلامة من علامات الساعة فقد تداعت أمم الكفر كما تتداعى الأكلة على قصعة الطعام، وسبب هذا الهوان ليست القلة في المسلمين، بل هم كثرة، ولكنهم غثاء وزبد كالذي يحمله السيل، لا وزن له، وهذا حال الأمة اليوم، فقد تجاوز عددهم الألف مليون لكنها كثرة كم لا كيف.

فالمهابة تنزع من قلوب أعدائهم، فيستخفون بالمسلمين، فيحاربونهم ويغزونهم، وذلك عندما قُذِف الوهن وهو حب الحياة وكراهية الموت.

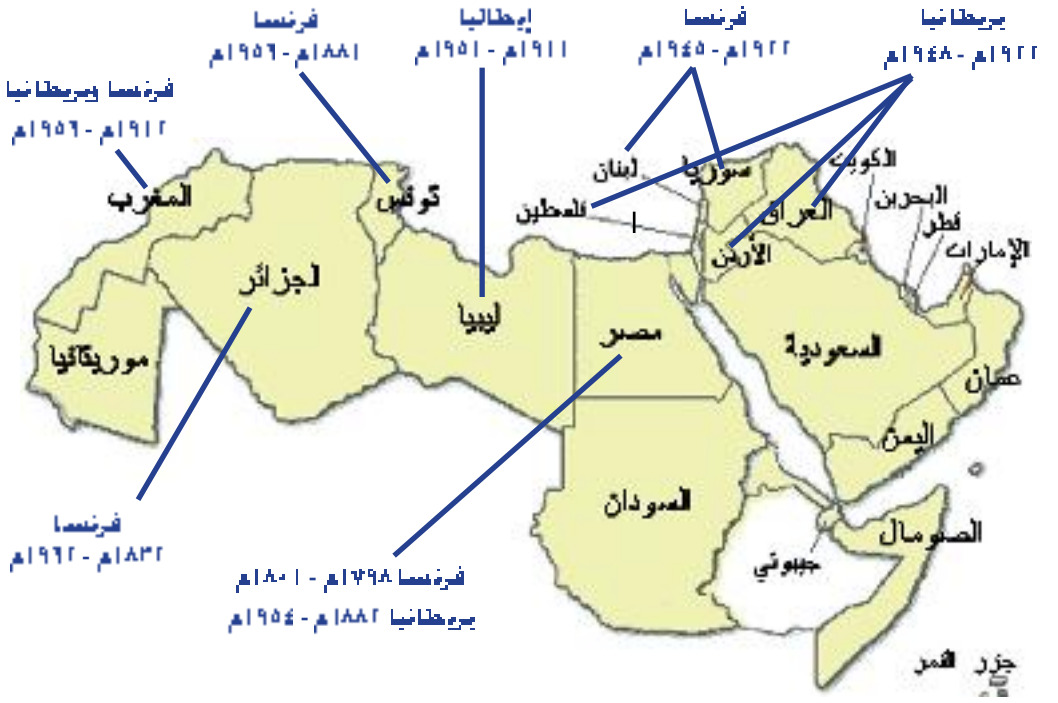

تاريخ الاستعمار الغربي للدول العربية

٧٠

تدافع الناس عن الإمامة في الصلاة

من علامات قرب الساعة وقوع الجهل وانتشاره بين الناس حتى لا يجد الناس إماما يؤمهم في الصلاة فيدفع بعضهم بعضا إلى الإمامة فيمتنعون عنها لجهلهم بالأحكام الشرعية وقلة اتقانهم للقراءة.

فعن سلامة بنت الحُرّ -رضي الله عنها- أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ من أشراط الساعة: أن يتدافع أهلُ المسجد الإمامةَ، فلا يجدون إماما يصلّي بهم»[1].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يجتمعون فيه ويصلون في المساجد وليس فيهم مؤمن»[2].

لعلّ هذا الزمان لم يأت ولله الحمد فلا زالت حلقات العلم والعلماء في كل مكان والمساجد تمتلئ بالعلماء وطلبة العلم والقراء المتقنين.

(١) رواه أبو داود وفي سنده مقال.

(٢) رواه الحاكم وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه". وهذا الحديث له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

٧١

صِدق رؤيا المُؤمن

الرؤى والأحلام في المنام لها معان وأحكام، منها ما هو صادق كفلق الصبح، ومنها ما هو كاذب، ومنها أضغاث أحلام وأحاديث نفس، وقد أخبر النبي ﷺ أخبارًا عن الرؤى تتعلق بأشراط الساعة وعلاماتها.

والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول ﷺ قال «لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات». قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال «الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له».(١)

وصِدْقُ الرؤيا وكونها بشارة للمؤمن هي علامة على قرب الساعة ونهاية العالم حيث تكون الرؤيا أكثر صدقًا ومطابقة للواقع والمؤمن أكثر صلاحًا وغربة بين الناس وكأن الرؤيا أنيس له لمّا أصبح غريبًا بين الناس فقلما تكذب رؤياه.

قال ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تَكْذِب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاث:

(١) رواه أحمد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة

فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس، وأحب القيد في النوم وأكره الغل، القيد ثبات في الدين»[١].

قال الحافظ بن حجر: «معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب: أنها تقع غالبًا على صفة واضحة المعنى لا يحتاج معها إلى تعبير فلا يدخلها الكذب، بل تكون صادقة غير كاذبة لأنها طابقت الواقع، بخلاف الرؤى الأخرى فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع في الواقع كما عبّر فتكون كاذبة غير صادقة.

والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبا كما في الحديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا» فيقل أنيس المؤمن ومعينه فيكرم الله المؤمن بالرؤيا الصالحة التي تثبته على الحق وتبشّر به»[٢].

وهنالك احتمالان لتحديد الزمن الذي يقع فيه صدق رؤيا المؤمن:

١ أن ذلك يقع إذا قبض العلم وغابت معالم الشريعة بسبب الفتن والقتال فيصبح المؤمن غريبًا فيعوّض بالمرائي الصالحة، وبهذا قال ابن حجر[٣].

٣ أن ذلك يقع في زمان نبي الله عيسى عليه السلام لأن أهل زمانه أصلح زمان في هذه الأمة بعد الصحابة الكرام وأصدقهم أقوالًا وأحوالًا ورؤاهم لا تكاد تكذب[٤].

(١) رواه أحمد مسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة
(٢) انظر فتح الباري (١٢ / ٤٥٤).
(٣) انظر فتح الباري (١٢ / ٤٥٤).
(٤) المصدر السابق.

٧٢

كثرة الكذب

الكذب آفة شنيعة ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وفي الحديث: «يطبع المؤمن على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب»[١].

وكان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهله بيته كذب كذبة لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة.

ومن علامات الساعة أن يفشو الكذب بين الناس فلا يتورع الرجل عن الكذب في حديثه وعدم التثبت في نقل الأخبار بين الناس، هذا مع قبح الكذب وسوء أثره وكثرته بين الناس.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»[٢].

وعن جابر بن سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»[٣].

وما أكثر الأحاديث والأخبار والقصص الغريبة في هذا الزمان لقلة ورع الناس عن الكذب، ولهذا حذر النبي ﷺ من تصديق كل شيء وتناقله، فلا بدّ من التثبت في الأخبار التي ننقلها حتى لا نكون من جملة الكذابين فنقع في الزلل والعصيان.

وما انتشار الشائعات اليوم، وعدم التثبت في الأخبار، والزيادة والنقص في المواقف والأحداث، إلا نوع من الكذب المحرّم.

---

(١) رواه أحمد من حديث أبي أمامة، وسنده ضعيف.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

٧٣

وقوع التناكر بين الناس

عند كثرة المحن والفتن تخف العلاقة بين الناس حتى تصل إلى القطيعة وتدابر القلوب فلا يتعارف الناس إلا لمصالحهم الدنيوية.

فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة؟ فقال: «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها: إن بين يديها فتنة وهَرْجًا». قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال: «بلسان الحبشة، القتل ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحدا»[1].

وهذا الحديث مصداق لواقع الناس الآن فقد أصبح كثير من الناس لا يكاد يعرف أقاربه، حتى ربما التقى بعض أولادهم في أماكن عامة، فلم يدر أن هؤلاء من أرحامه لأن كثيرًا من علاقات الناس بنيت على المصالح الشخصية وكثرت العلاقات الواهية القائمة على المصالح الدنيوية التي سرعان ما تتكون وسرعان ما تهدم وتنقطع لكونها قائمة على رغبة الناس في مصالحهم ولم تكن قائمة على الإيمان بالله والإخاء بل ينظر الرجل لمصلحة دنياه فإن كانت قابلة للتحقيق بناها وإلا كان أسرع إلى القطيعة.

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

٧٤

كثرة الزلازل

والمراد بكثرة الزلازل قبل قيام الساعة شمولها ودوامها وهي إما رحمة بالأمة وتكفير للسيئات لما ورد كما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن»[1].

أو عقوبة للعباد حيث يكثر الفساد فتكون الزلازل عذابًا وعقابًا لأهل الزمان.

فعن أبي هريرة ﷺ أن ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل»[2].

وعن عبد الله بن حوالة الأزدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»[3].

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه.
(٢) رواه البخاري
(٣) رواه أبو داود

٧٥ ٧٦

كثرة النساء - وقلة الرجال

من علامات الساعة كثرة النساء آخر الزمان وقلة الرجال وقد قيل إن سبب كثرة النساء الفتن التي يكثر فيها القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء.

وقيل: هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات.

قال ابن حجر: «والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث»[1] اهـ.

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة - أو قال: إن من أشراط الساعة: أن يُرفعَ العلم، ويَظهرَ الجهلُ، ويُشربَ الخمر، ويفشو الزنا، ويذهب الرجالُ، ويبقى النساءُ حتى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد».

وفي رواية: «يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء»[2].

ومن تأمل اليوم في نِسَب ولادات الذكور والإناث في العالم عمومًا، وتأمل في الإحصاءات المعتمدة دوليًا في عدد الرجال بالنسبة للنساء علم أن هذه العلامة ظاهرة في زمننا هذا..

(١) فتح الباري (١ / ١٣٢).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

٧٧

ظهور الفاحشة والمجاهرة بها

مع كثرة المنكرات وانتشار الشهوات في آخر الزمان أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة انتشار الزنا حتى يقع الرجل على المرأة في قارعة الطريق جهارًا.

فهنا علامتان: ظهور الزنا، وفشوّه وانتشاره، والمجاهرة بالفاحشة، وعدم الاختفاء بها.

فعن أبي هريرة ﷺ أن ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى: لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهارًا جهارًا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد ولا يغيره فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو نحّيتها عن الطريق فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»(١).

ويشهد لهذا أيضًا قوله ﷺ: «إن من أشراط الساعة: أن يُرفعَ العلم، ويَظهرَ الجهلُ، ويُشربَ الخمر، ويفشو الزنا».

وفي رواية: «يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء»(٢).

وهاتان العلامتان ظاهرتان في زمننا، من خلال ما يُبثّ في بعض القنوات الفضائية من فضائح، وصور خليعة، أو ما يُنشر على الإنترنت من صور ومقاطع فيديو تستحيي العين المؤمنة من النظر إليها.

فحريٌّ بالمؤمن والمؤمنة صيانة النفس وغض البصر وحفظ الفرج، والتحرز من مخالطة أهل الفجور، مع دوام سؤال الله ﷻ العصمة والعفاف.

(١) رواه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جدًا.
(٢) متفق عليه.

٧٨

أخذ الأجرة على قراءة القرآن

قراءة القرآن عبادة وقربة، والأصل أن العبادات لا تصرف لطلب الدنيا، وإنما للآخرة ابتغاء لوجه الله تعالى.

ومن علامات الساعة، أنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن ويحسّنون أصواتهم في مجالس العزاء والمناسبات، ليأخذوا على ذلك أموالًا.

عن عمران بن حصين ﷺ أنه مر برجل وهو يقرأ على قوم فلما فرغ سألهم مالًا.

فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى به فإنه سيجيء قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به»[١].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي، فقال: «اقرءوا، فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح[٢] يتعجلونه ولا يتأجلونه[٣]»[٤].

(١) رواه أحمد وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) والمعنى: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والتشهر، كان أحدهم يصف القداح وهي السهام.

(٣) والمعنى: يتعجلون ثوابه من الناس مالًا وثناءً، ولا يؤجلون نيل الثواب في الآخرة أجرًا ورضوانًا.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٩).

٧٩

أن الناس يكثر فيهم السمن

عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[1].

ولعل كثرة السمن في آخر الزمان سببها انتشار الترف والترفّه تنوع المطاعم والمشارب، وكثرة المشهيات والحلويات، وقلة حركة الناس بأجسادهم، فصارت الأجهزة تخدمهم فلا يمشون، ولا يتحركون إلا قليلًا، فزادت البدانة سواء عند الكبار أو الصغار، حتى ذكرت الإحصاءات أن سدس سكان العالم يعانون من زيادة الوزن.

لذلك كثرت اليوم الأدوية التي تُعين على تخفيف الوزن، ومكافحة السمنة، وعمليات ربط المعدة، وما شابه ذلك.

(١) متفق عليه.

٨٠ ٨١

ظهور قوم يَشْهدون ولا يُسْتَشْهدون - وظهور قوم ينذرون ولا يفون

وهاتان العلامتان وردتا في الحديث السابق «.. ثم إن بعدهم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون..».

وهذان الوصفان من التساهل بالشهادة على الآخرين بغير علم ولا طلب، وكثرة النذر مع عدم الوفاء به تدلان على رقة الدين، وضعف الإيمان، وعدم تعظيم الله في القلب.

٨٢

أن القوي يأكل الضعيف

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يقول: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا». قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك لقد دخلت وأنت تقول كلامًا ذعرني. قال: «وما هو؟». قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقًا. قال: «نعم». قالت: ومم ذاك؟ قال: «تستحليهم المنايا[1] وتنفس عليهم أمتهم». قالت: فقلت فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ قال «دبى يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة». قال أبو عبد الرحمن: فسره رجل هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها.[2]

و «الدّبى»: الجراد قبل أن يطير.

والجنادب: جمع جندب، وهو الجراد.

وفي هذه الحديث إشارة على وقوع ظلم عظيم وشر كبير حتى يصبح القوي يأكل الضعيف.

(١) المنايا جمع منيّة وهو الموت، والمعنى أن الموت يراهم صيدًا حلوًا فيهجم عليهم.
(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٥٣).

٨٣

تَرْك الحُكم بما أنزل الله

الحكم بما أنزل الله من أوجب الواجبات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وفي آخر الزمان تنقض عرى الإسلام عروة عروة، وأول ما ينقض الحكم بما أنزل الله.

عن أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لينتقضن عُرى الإسلام عُروة عُروة فكلما انتقضت عروة تشبّث الناس بالتي تليها وأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة»[2].

وهذه العلامة ظاهرة اليوم -مع الأسف- في أكثر بلدان الإسلام فلم يعودوا يحكمون بالإسلام إلاّ فيما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث ونحوها، أما المعاملات التجارية، والعقوبات الجنائية والحدود الشرعية فالكثير يحكم بالقوانين الفرنسية والبريطانية وغيرها.. وهذا حكم بغير ما أنزل الله.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[3].

(١) المائدة ٤٤

(٢) رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح

(٣) المائدة ٥٠

٨٤

كثرة الروم وقلة العرب

الروم هم من يطلق عليهم اليوم الأوروبيون والأمريكان وسمو بالروم نسبة إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، ولهذا يطلق عليهم بنو الأصفر[١].

عن المستورد القهري أنه قال لعمرو بن العاص: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول؟. قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال عمرو بن العاص: إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالًا أربعًا:

- إنهم لأسرع الناس كرّة بعد فرّة[٢].
- وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف.
- وإنهم لأحلم الناس عند فتنة.
- والرابعة حسنة جميلة وأنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك"[٣].

وعن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليفرّن الناس من الدجال[٤] في الجبال». قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم قليل»[٥].

وقد يقال: إن معنى «الروم أكثر الناس» إشارة إلى انتشار اللسان الأوروبي (الإنجليزي) وبداية هجر العربية، قال بعض أهل العلم: «العربي من تكلم العربية، والأعرابي من سكن البادية وإن كان أعجميًا».

---

(١) التذكرة للقرطبي (٢ / ٦٨٩).

(٢) الأصل أن الكرة هي الإقبال في القتال، والفرة هي الفرار، والمعنى هنا أنهم إذا أفزعوا أو أصابتهم كارثة سارعوا إلى تحسين أوضاعهم وحل مشكلاتهم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الدجال من علامات الساعة الكبرى، وسيأتي تفصيل أمره في العلامة رقم (١) من العلامات الكبرى.

(٥) رواه مسلم.

٨٥

استفاضة المال وكثرته بين الناس

عاش المسلمون سنين متتابعة مع رسول الله ﷺ وسنين بعده، وهم في شظف من العيش وحاجة شديدة، حتى كان يمر الهلال تلو الهلال وما أوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، إنما طعامه الأسودان التمر والماء.

فكان النبي ﷺ يحدّث أصحابه بأن الحال سيتغير، وأن من علامات الساعة أن يفيض المال حتى أن الرجل يسعى بزكاة ماله شهرًا لا يجد من يأخذها لشدة استغناء الناس عنها.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِمّ ربّ المال من يقبله منه صدقة ويُدْعى إليه الرجل فيقول لا إرب[1] لي فيه»[2].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها»[3].

(١) أي لا حاجة لي فيه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

وقد اختلف أهل العلم، هل وقعت هذه العلامة أم لا؟

فقيل إن ذلك تحقق في عهد الصحابة بسبب الفتوحات وغنيمتهم لأموال الفرس والروم.

ثم فاض المال في زمن عمر بن عبد العزيز فكان الرجل يعرض صدقته فلا يجد من يقبلها حتى أن الرجل ليعرض ماله على من يراه محتاجًا فيقول له: لا إرب لي فيه أي لا حاجة لي فيه.

وقيل إن ذلك سيقع آخر الزمان وقد أشار النبي ﷺ بأن المال سيكثر زمن المهدي الذي يحثو المال حثوًا، أي يجمع بكفيه الذهب والفضة ويعطيه الناس دون عدٍّ ولا حساب لكثرته ووفرته، وتخرج الأرض بركتها ويغتني الناس لعموم البركة والخير حتى إن الأرض تخرج من بطنها أمثال الأسطوان الذهب والفضة.

عن سعيد الجريري عن أبي نضرة قال: كنا جلوسا عند جابر ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا»[1]. قلت -أي سعيد الجريري- لأبي نضرة وأبي العلاء: أترياه أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا"[2].

(١) انظر ذكر المهدي علامة رقم (١٣١) في العلامات الصغرى.

(٢) رواه مسلم.

٨٦

إخراج الأرض كنوزها

ومن كثرة المال واستفاضته في آخر الزمان، أن الأرض تكشف عن كنوزها المدفونة فيها، ويزهد الناس في المال لكثرته.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تُقِيءُ[1] الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأُسْطُوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا»[2].

قال النووي رحمه الله: «ومعنى الحديث التشبيه، أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها. والأسطوان - بضم الهمزة والطاء وهو جمع أسطوانة - وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته»[3] ا.هـ

نماذج للاسطوانات (الأعمدة) القديمة

(١) أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) شرح النووي على مسلم (٣ / ٥٤).

٨٧ ٨٨ ٨٩

ظهور المسخ[١] - والخسف[٢] - والقذف[٣]

وهذه من العقوبات التي تقع على بعض الناس في آخر الزمان، وهي من علامات الساعة، فعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «إذا ظهرت القيان والمعازف»[٤].

و «القيان»: جمع قَينة وهي المرأة المغنية[٥].

و «المعازف»: آلات اللهو والغناء ومفرده مَعزف[٦].

وكلما سكت الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ظهرت المعاصي، وانتشرت، فاقتربت العقوبات.

عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «يكون في آخر هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف». قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا ظهر الخبث»[٧].

---

(١) هو قلب الخلقة من شيء إلى شيء مثل ما عاقب الله ﷻ فريقًا من بني إسرائيل فمسخهم قردة وخنازير كما قال ﷻ (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)، وقال (وجعل منهم القردة والخنازير).

(٢) انشقاق الأرض وابتلاعها ما فوقها، وسيأتي في العلامات الكبرى صورة الخسف.

(٣) الرمي بحجارة من السماء كما وقع لقوم شعيب لما عاقبهم الله ﷻ بحجارة نزلت من السماء، وعاقب أبرهة وقومه لما جاؤوا لهدم الكعبة فرماهم بحجارة من سجيل.

(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٣).

(٥) انظر لسان العرب (١٣ / ٣٥٠).

(٦) لسان العرب (٩ / ٢٢٤).

(٧) رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٥٥).

وقد أخبر الرسول ﷺ أن وقوع الخسف والمسخ والقذف أيضًا في أنواع من أهل البدع المخالفين في العقيدة مثل: الزنادقة -وهم أهل النفاق الأكبر والإلحاد- والقدرية -وهم المكذبون بتقدير الله ﷻ لمقادير وأفعال العباد-.

منزل خسف به ليلًا ٢٠٠ قدم في باطن الأرض

فعن نافع قال: بينما نحن عند عبد الله بن عمر قعودًا، إذ جاء رجل، فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام -لرجل من أهل الشام- فقال عبد الله: بلغني أنه أحدث حدثًا[1]، فإن كان كذلك، فلا تقرأن عليه مني السلام، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف، وهو في الزنديقية والقدرية»[2].

وجاءت في أحاديث أخرى، أن خسفًا سيقع آخر الزمان بجيش يغزو البيت (الكعبة)؛ فيخسف الله بأوله وآخره.

فعن بقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد، تقول: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبًا، فقد أظلّت الساعة»[3].

أي يخسف به قريبًا من المدينة، وسيأتي تفصيل حال هذا الجيش[4].

وأخيرا.. لا شك أن هذه العقوبات تقع على أهل المعصية والساكتين عنها، فيحذر المسلم من ذلك.

(١) أي ابتدع بدعة وضلالة.

(٢) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في المسند الصحيح رقم (١٣٥٤).

(٤) انظر العلامة رقم (١٢٢) من العلامات الصغرى.

٩٠
مطر لا تُكِنُّ منه بيوت المدر

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، نزول مطر من السماء لا تصمد أمامه بيوت الطين والحجر، وإنما تصمد أمامه الخيام المبنية من وبر الإبل.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرا، لا يكنّ[1] منه بيوت المدر، ولا يكنّ منه إلا بيوت الشعر»[2].

(١) أي لا تقي منه.

(٢) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وكذا رواه ابن حبان في صحيحه.

٩١

نزول المطر من السماء ولا تنبت الأرض شيئًا

ومن علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، نزول مطر عام من السماء، ولا تنبت الأرض شيئًا من النبات والثمار.

فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا، ولا تُنبت الأرض شيئًا»[١].

ولا شك أن هذا لذهاب بركة الأرض، كما قال ﷺ: «إن السَّنَة[٢] ليس بأن لا يكون فيها مطر، ولكن السَّنَة أن يمطر الناس ولا تنبت الأرض»[٣].

(١) رواه أحمد وأبو يعلى، وقال الهيثمي في المجمع: ورجال الجميع ثقات.

(٢) أي القحط والجدب.

(٣) رواه أحمد، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

٩٢

فتنة تستنظف العرب

ومن علامات الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ وقوع فتنة عظيمة تصيب العرب؛ فيكثر فيهم القتل والهلاك.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف»[1].

و«تستنظف العرب»: أي تستوعبهم وتشملهم هلاكًا، من استنظفت الشيء إذا أخذته كله.

و«قتلاها في النار»: لقتالهم على الدنيا، واتباعهم الشيطان والهوى، أي سيكونون بقتالهم هذا مستوجبين للعقاب، وهم إن ماتوا مسلمين موحدين، لم يخلّدوا في النار وإن عوقبوا فيها.

والمراد بقتلاها: من قتل في تلك الفتنة فهو متعرّض للوعيد الشديد؛ لأنهم ما قصدوا بتلك المقاتلة إعلاء دين، أو دفع ظالم، أو إعانة محق، وإنما كان قصدهم التباغي والتشاجر؛ طمعًا في المال والملك.

و«اللسان»: أي وقعه، وطعنه، وتشجيعه على القتال، وإذكاؤه له أشد من السيف، ويدل عليه رواية: «واشراف اللسان -أي إطلاقه واطالته- فيها أشد من وقع السيف»[2].

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والحديث فيه مقال.
(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (١٥ / ٣٦٩).

٩٣ ٩٤ ٩٥

كلام الشجر - كلام الحجر نصرةً للمسلمين - قتال المسلمين لليهود

وهذا القتال سيحدث آخر الزمان؛ فينتصر المسلمون؛ فينطق الشجر والحجر قائلًا: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله. فالشجر والحجر يتعاطف مع المسلمين؛ تأييدًا لهم، ونصرًا من الله ﷻ.

شجرة الغرقد الواردة في الحديث

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»[1].

وكلام الشجر والحجر من أشراط الساعة، إلا شجرة الغرقد اليهودية لا تتكلم.

فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[2].

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يامسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله»[1].

وتكلُّم الشجر والحجر حقيقة؛ لأن الله قادر على إنطاق الجمادات، وهي من علامات قرب الساعة.

وعن نهيك بن صريم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لتقاتلن المشركين؛ حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيه وهم غربيه».

قال نهيك بن صريم: «ولا أدري أين الأردن يومئذ»[2].

والمقصود به: البحر الفاصل بين فلسطين المحتلة والأردن.

صورة أخرى لشجر الغرقد

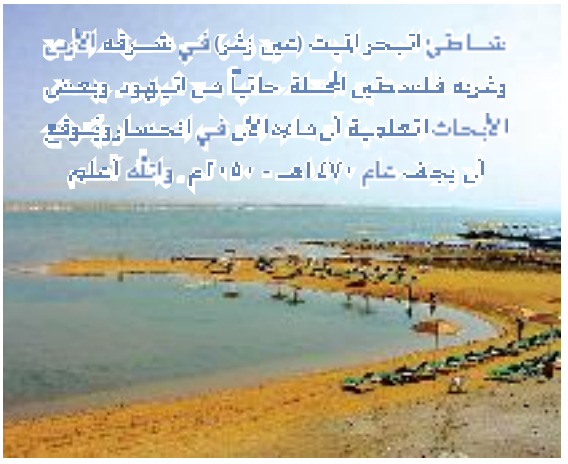

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده محمد بن أبان القرشي، وهو ضعيف.

٩٦

يحسِرُ الفرات عن جبل من ذهب

نهر الفرات معروف، وهو كثير الماء، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يحسر الفرات، ويتغير مجراه؛ فيستبين للناس جبل من ذهب؛ فيقتتلون عليه؛ فيُقتل أناس كثير.

وقد حذر رسول الله ﷺ من حضره عن الأخذ منه؛ خشية الفتنة، أو وقوع المقاتلة بسببه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يَحسِر الفرات عن جبل من ذهب؛ يقتتل الناس عليه؛ فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو»[1].

وفي رواية: «فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»[2].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

يأخذون منه ليذهبن به كله، قال: فيقتتلون عليه؛ فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون»[1].

سد (أتاتورك) التركي على نهر الفرات

ومعنى انحساره: انكشافه، وهو جبل من ذهب حقيقي.

وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه، ويكون هذا الكنز أو هذا الجبل من الذهب مطمورًا بالتراب، وغير معروف، فإذا تحول مجرى الماء لسبب من الأسباب كشفه الله.

سد الفرات (الثورة) السوري على نهر الفرات

وعلى من حضره ألا يأخذ منه شيئًا؛ خشية الفتنة وسفك الدماء، وهذه الفتنة لم تظهر بعد، والله أعلم بحدوثها متى يكون.

واليوم تقيم تركيا وسوريا سدودًا على نهر الفرات، وتقيم عنده المصانع، مما أدى إلى قلة جريان الماء فيه، فقد يكون هذا مقدمات لظهور ذلك الجبل.

(١) رواه مسلم.

٩٧

مجيء زمان يُخيَّر الرجل فيه بين العجز والفجور

من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ تخيير الرجل بين أن يفجُر، أو أن يُتَّرك ودِينُهم بالعجز والرجعية، وغيرها من الألفاظ غير التقدمية في عرف أهل الفساد، فنبه النبي ﷺ ونصح أولئك على اختيار العجز، والابتعاد عن الفجور.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يُخيَّر فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان؛ فليختر العجز على الفجور»[1]

وهذا الأمر ظاهر في زماننا؛ حيث إن من التزمت بحجابها من النساء - مثلًا- اتُّهمت بأنها عاجزة رجعية، أو من ترك المساهمة في الربا، أو تعاطي الرشوة، أو متابعة القنوات الفاسدة، وصفه الناس بالرجعية والعجز عن التقدّم؛ فأصبح الإنسان في المجتمع مخيّرًا بين أن يفجر ويعصي، أو يوصف بالعجز والرجعية.

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى عن شيخ عن أبي هريرة، وبقية رجاله ثقات، فالحديث في إسناده جهالة.

٩٨
عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا

الناظر في جزيرة العرب، يعلم أن الصحاري الجرداء القاحلة تبلغ ٧٠٪ من مساحتها، فأخبرنا نبينا ﷺ أن من أشراط وعلامات الساعة، أن تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، بعدما كانت قاحلة صحراء لا تنبت.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق -أي يخاف أن يضيّع الطريق- وحتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل»[1].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»[2].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتى

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم.

إذا كان يومًا أخّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدًا -إن شاء الله- عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي»، فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك[1] تبض[2] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئًا»؟ قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر غزير حتى استقى الناس، ثم قال ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما ههنا قد مُلئ جنانا»[3] أي بُساتين.

وقد أشار بعض العلماء أن الزحف الجليدي يتقدم الآن باتجاه جزيرة العرب، والذي يحمل معه الثلوج والأمطار التي تكون عادة سببًا في إنبات الزرع وكثرة الخيرات، والله ﷻ قادر على أن يُحيل صحراء العرب إلى جنات وأنهارًا، وسهولًا فيحاء، وظلال ممدودة، وهذه العلامة لم تظهر بعد، لكن كل آت قريب.

(١) الشراك: سير النعل، والمعنى هنا قليل.
(٢) تبض: تسيل سيلًا قليلًا فيه ترشح.
(٣) رواه مسلم.

وأما قوله ﷺ على تبوك: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلئ جنانًا» فهذا واقع اليوم من خلال المشاريع الزراعية الكبرى الواقعة في تبوك على مسافات شاسعة من الأراضي.

تبوك اليوم

صورة توضح مشاريع الزراعة والبساتين المقامة في تبوك اليوم

٩٩ ١٠٠ ١٠١

ظهور فتنة الأحلاس - ظهور فتنة السراء - ظهور فتنة الدُهيماء

أخبر ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى يسبقها فتن ثلاث.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس. فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هَرَب وحرب. ثم فتنة السراء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون. ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع. ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين - أي قسمين - فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه، أو من غده»[1].

و«الأحلاس»: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي فوق ظهر البعير تحت الرَّحل الخشبي، وهذا الكساء ملازم للبعير دومًا، فهي فتنة ملازمة للناس، لا تكاد تفارقهم، وهي سوداء مظلمة مثل الحِلس.

«هَرَب»: بفتحتين، أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة.

«وحرب»: نهب مال الإنسان وأهله، وتركه لا شيء له.

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٧٢).

«ثم فتنة السراء»: أي النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية؛ فيفتتن بعض الناس ويتمادى في العصيان.

«دخنها»: يعني ظهورها وإثارتها، شبهها بالدخان المرتفع من النار إذا أُلقي عليها حطبٌ رطبٌ فكثُرَ دخانها.

«من تحت قدمي رجل من أهل بيتي»: أي من آل بيت النبي ﷺ، تنبيه على أنه هو الذي يسعى في إثارتها أو أنه يملك أمرها.

«يزعم أنه مني»: أي هو مني في النسب، لكنه ليس مني في فعله الشنيع، فأنا بريء من فعله، وإن كان من أهل بيتي، وهو ليس من أوليائي، إنما أوليائي المتقون، وهذا الرجل هو الباعث على إقامة تلك الفتنة.

«وليس مني»: أي ليس من أخلائي لأنه يهيج الفتنة، ومثل ذلك قوله ﷺ لنوح لما قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾[1]، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[2].

«ثم يصطلح الناس على رجل»: أي يجتمعون على بيعة رجل.

«كورك»: الورك هو ما فوق الفخذ.

«على ضلع»، وهو مفرد ضلوع وأضلاع، والضلع هو عظم الصدر.

والمعنى: أن شأن الناس مع هذا الرجل لا يستقر، لأن الورك ثقيل. والضلع (عظم الصدر) صغير ضعيف، فيكون الناس قد اصطلحوا بعد اختلافهم على رجل غير خليق للملك، قليل العلم خفيف الرأي، لا يقوم به نظام، ولا استقامة أمور.

(١) هود: ٤٥
(٢) هود: ٤٦

«فتنة الدهيماء»: أي الفتنة السوداء العظماء والطامة العمياء.

«إلا لطمته لطمة»: أي لا تترك أحد من الناس إلا أصابته بمحنة أو بلاء، واللطم هو الضرب على الوجه، والمعنى: أن أثر فتنة الدهيماء يعم كل الناس.

«فإذا قيل انقضت»: أي إذا توهم الناس أن تلك الفتنة انتهت.

«تمادت»: أي زادت وتمددت.

«يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا»: أي يصبح محرّما لدم أخيه غير معتد على عرضه وماله، ويمسي مستحلا لذلك معتديا عليه، وقد تقدم شرح ذلك مفصلًا (١).

«إلى فسطاطين»: أي فرقتين، وقيل: مدينتين، والفسطاط الخيمة.

«فسطاط إيمان لا نفاق فيه»: أي إيمان خالص صاف.

«وفسطاط نفاق لا إيمان فيه» أي فيه أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك.

«فانتظروا الدجال»: أي ظهوره.

وهذه الفتن لم تظهر بعد والله أعلم، ونسأل الله أن يكفينا شرّها.

(١) انظر العلامة رقم (٩٩).

١٠٢

مجيء زمان السجدة فيه تعدل الدنيا وما فيها

وهذا يقع في زمن عيسى بن مريم عليه السلام بعد ما ينزل في آخر الزمان، وزمانه عليه السلام زمان فاضل، والعبادات فاضلة، والعبادات تتفاضل في أجرها وثوابها، بحسب تفاضل شرف ومنزلة الزمان والمكان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[1]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم قال أبو هريرة واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[2][3].

(١) يعني لا يقبل من أحد إلا أن يكون على دين الإسلام، ولا يقبل أن يبقى النصارى على دينهم حتى لو دفعوا الجزية.

(٢) النساء ١٥٩

(٣) رواه البخاري ومسلم.

ومعنى قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات؛ لزهدهم في الدنيا، وقصر آمالهم، ويقينهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها.

قال القاضي عياض: «معناه، أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذ وقلة الشح، وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد، والسجدة هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم»[1].

١٠٣
انتفاخ الأهلة

الأهلة جمع هلال، وهو القمر في أول طلوعه بداية الشهر، فإنه يبدأ صغيرًا أول ليلة من الشهر الهجري، ثم يكبر بالتدرج إلى انتصاف الشهر، ثم يتناقص مرة أخرى إلى آخر الشهر.

ومن علامات الساعة، انتفاخ الأهلة، وهو أن يرى الناس الهلال من أول الشهر كبيرًا عن المعتاد، فيرونه أول ليلة كأنه ابن ليلتين.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة، وأن يرى الهلال لليلة فيقال لليلتين»[2]. والظن أن هذه العلامة لم تظهر والله أعلم.

(١) شرح مسلم للنووي (٢ / ١٩١).

(٢) رواه الطبراني وله طرق وشواهد كثيرة والحديث له طرق، قال السخاوي في المقاصد: وبعضها يتقوى ببعض.

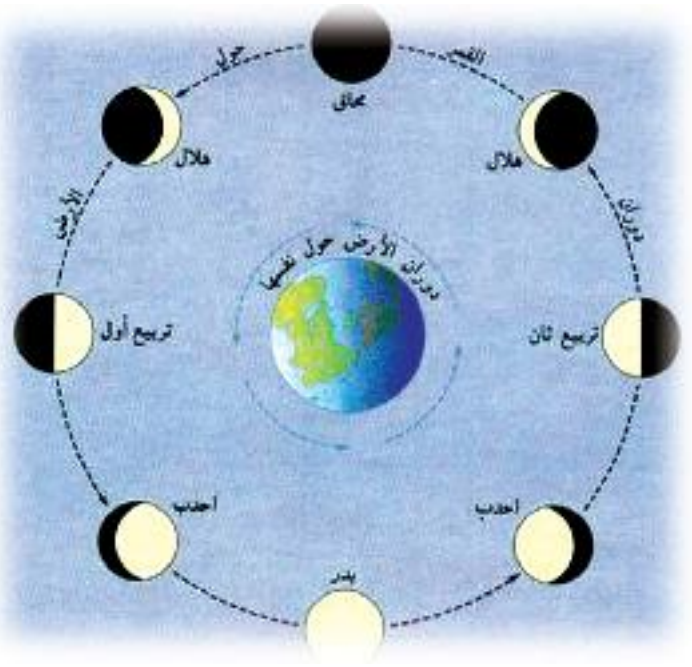

اطوار القمر من بداية إلى نهاية الشهر العربي

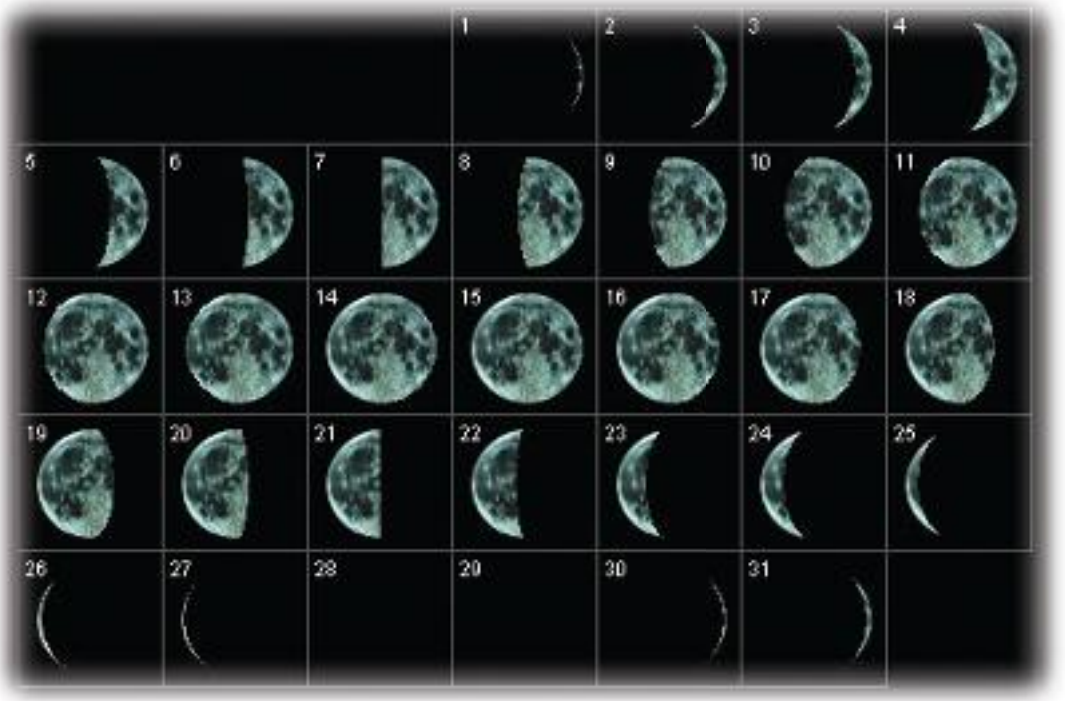

اطوار القمر خلال أحد الشهور الإفرنجية

١٠٤

مجيء زمان لا يبقى أحد إلا لحق بالشام

الشام اسم يطلق اليوم على بلاد سوريا وما حولها (لبنان والأردن وفلسطين)، والشام هي أرض المنشر والمحشر، وهي مهبط كثير من الرسالات، والشام وأهلها لهم قدر ومزية، قال ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[1].

لذا يوصي النبي ﷺ بسكنى الشام؛ لأنه قبل قيام الساعة ستكون الشام معقل المسلمين وسكناهم. فعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام»[2].

والفسطاط في الأصل الخيمة، والمقصود هنا موقع المسلمين، ومكان اجتماعهم يوم الملحمة، أي المعركة الكبرى بين المسلمين والنصارى.

«بالغوطة» وهو اليوم تسمّى غوطة دمشق، ودمشق مدينة معروفة، وهي عاصمة سوريا اليوم.

(١) رواه الترمذي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه أحمد وأبو داود في المسند وصححه الألباني في صحيح أبي داود

والملحمة المذكورة في الحديث تكون قبل المهدي، أو في زمنه، أو في زمن آخر، وقد حث النبي ﷺ على سكنى الشام؛ وذلك لكونها أرض المحشر، وأنها فسطاط المؤمنين، فقد استشار أحد الأصحاب رسول الله ﷺ إلى أي البلدان يهاجر ويسكن؛ فأشار عليه بالشام.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله أين تأمرني؟ قال «ها هنا، ونحا بيده نحو الشام»[1]. وقبل قيام الساعة، سيهاجر أغلبية المؤمنين إليها، ولا يبقى أحد منهم إلا لحق بالشام.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «يأتي زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[2].

صور متنوعة لغوطة دمشق

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة موقوفًا، ولا يصح مرفوعًا، وهذا الأثر لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، ولا بأس بإسناده موقوفًا.

١٠٥ ١٠٦

الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم
- فتح القسطنطينية

تاريخ المسلمين والروم النصارى حافل بالأحداث، ففيه السلم والحرب، والهدنة والقتال، والمسلمون اليوم مع الروم حالهم غير مستقرّ، بل يتقلبون ما بين سلم وحرب، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة: وقوع حرب كبرى بين المسلمين والروم، وذلك قبل ظهور المهدي، سماها النبي ﷺ الملحمة الكبرى، حيث ينتصر فيها المسلمون، ثم يتوجهون إلى فتح القسطنطينية، فيفتحونها، ثم يظهر الدجال.

فعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[1].

صور للقسطنطينية (استانبول)

صورة للجسر الواصل بين قارتي آسيا وأوربا الرابط بين طرفي مدينة القسطنطينية (استانبول)

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني في صحيح أبي داود وقد تفرد به عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول وأورد الذهبي هذا عن

وقال النبي ﷺ: «ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم[١]، فتنصرون وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بِمَرْج ذي تلول[٢]، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين، فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة، وزاد بعضهم: فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[٣].

وفي صحيح مسلم تفصيل لهذه الموقعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق (وهذا موضع قرب حلب في بلاد الشام، فيكون هناك موضع الملحمة) فيخرج له جيش من المدينة[٤] من المسلمين من خيار الأرض يومئذ، فإذا تصافوا أمام بعض، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم (وهذا يدل أنه وقعت حروب سابقة بين المسلمين والروم، وانتصر المسلمون، وسبوا من الروم، وأسلم السبي وجاء يجاهد)، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث (أي: من جيش المسلمين) لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث (أي: من المسلمين) أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث (يعني الثلث الأخير يفتح البلاد ويغنم) لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسطنطينية، وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح (أي الدجال) قد خلفكم في أهليكم (أي يريد إفزاعهم وتخويفهم)، فيخرجون (أي يتوجهون إلى

(١) أي من خلفكم، اختلف الشراح قديمًا وحديثًا في المراد بهذا العدو.
(٢) أي بمكان مرتفع، ولم أجد أحدًا من أهل العلم من حدّد المكان بالضبط، ويظهر أنه مرج دابق، كما جاء في حديث آخر وهو قوله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق».
(٣) رواه أبو داود بسند صحيح.
(٤) يعني مدينة دمشق.

الدجال)، وذلك باطل (أي يكون كلام الشيطان هذا باطلا)، فإذا جاءوا الشام خرج (أي المسيح الدجال).

وفي رواية: «فبينما هم يُعِدون لقتال الدجال، يعد أن قاتلوا الروم، وما استطاعوا أن يقتسموا الغنائم ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم..»[1].

تفصيل الفرقة برواية أخرى:

قال ﷺ: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسم ميراث ولا يُفْرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام (قال ابن مسعود: الروم). وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة[2]، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌ غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمْسُوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌ غيرُ غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نَهد إليهم بقية أهل الإسلام (أي يجتمع أهل الإسلام من الأماكن المختلفة)، فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة -إما قال: لا يُرى مثلُها وإما قال: لم يُرى مثلها- حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلُفهم حتى يخر ميتًا، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأي غنيمة يُفْرح؟! أو أي ميراث يُقسم؟!. فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفكم في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة،

(١) رواه مسلم.

(٢) أي رجوع شديد للفرار بسبب شدة القتال.

قال ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ -أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ-»[1].

ومجمع الجيش الإسلامي للملحمة الكبرى يومئذ مدينة دمشق في الغوطة وهم خير جيش على ظهر الأرض آنذاك ينصرهم الله ﷻ على الروم.

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام».

وفي رواية قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ»[2].

وفتح القسطنطينية على المسلمين بدون قتال وسلاحهم يومئذ التكبير والتهليل وبقيادة المهدي.

ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا

(١) رواه أحمد ومسلم.
(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأقره المنذري".

بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر فيسقط أحد جانبيها -قال ثور بن يزيد: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر- ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذا جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[1].

قال النووي: «قال القاضي: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم «من بني إسحاق»».

قال بعضهم: «المعروف المحفوظ: (من بني إسماعيل)، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية». ا.هـ

ومما يدل على أنه إنما أراد العرب -وهم بنو إسماعيل- ما جاء في حديث ذي مخمر ﷺ: أن الروم يقولون لصاحبهم: كفيناك حدَّ العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة، فدل هذا على أن الملحمة تكون بين العرب وبين الروم.

وظواهر أحاديث هذا الباب تدل على ذلك أيضًا، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية.

ويدل على ذلك أيضا قوله ﷺ في حديث عمرو بن عوف ﷺ: «ثم يخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز»، فدل على أنهم بنو إسماعيل لا بنو إسحاق. والله أعلم[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ حمود التويجري (١ / ٤٠).

١٠٧ ١٠٨

أن لا يُقسم الميراث - أن لا يفرح الناس بغنيمة

وهاتان العلامتان تقعان آخر الزمان لما يكثر القتل والقتال، وتشتدّ الحروب مع النصارى.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا - ونحاها نحو الشام».

وقد تقدم توضيح ذلك في العلامة السابقة.

١٠٩

عودة الناس إلى الأسلحة والمركوبات القديمة

وقد تقدم ذلك في العلامة قبل السابقة، قال ﷺ:

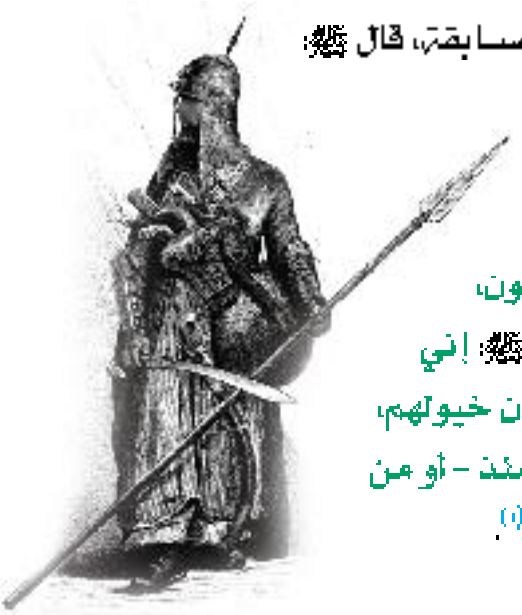

«فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ: أن الدجال قد خلفهم في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»[1].

(١) رواه مسلم.

١١٠ ١١١

عمران بيت المقدس - وخراب المدينة وخلوها من السكان والزائرين

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدجال» ثم ضرب معاذ بن جبل بيده على فخذ الذي حدثه -أو منكبه- ثم قال: إن هذا لحق، كما أنك قاعد هاهنا"[1].

ومعنى خراب يثرب وهي المدينة النبوية فراغها من السكان والزائرين.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «الملحمة الكبرى، وفتح القسطنطينية وخروج الدجال: في سبعة أشهر»[2].

المسجد النبوي

بيت المقدس

وهذه الأحداث التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث مرتب وقوع بعضها على بعض، فعمران بيت المقدس يعني عمران القدس وتوسعها بكثرة مبانيها،

(١) رواه أبو داود وهو حديث حسن، وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي بسند ضعيف.

وإقبال الناس على سكناها، يتبعه خراب يثرب وهي المدينة النبوية ورغبة الناس عن سكناها، وتوقف التوسع في مبانيها، وهذا واقع اليوم في المدينة النبوية، فالناس ينقصون فيها ولا يزيدون، والكثير ينتقلون منها إلى غيرها من المدن.

وفي الحديث قال: «لتُتْرَكَنَّ المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذي (أي يبول) على بعض سواري المسجد أو على المنبر». فقالوا: يا رسول الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال: «للعوافي: الطير والسباع[1]»[2].

ويحتمل عمارة بيت المقدس نزول الخلافة فيه آخر الزمان، كما جاء في حديث عبد الله بن حوالة الأزدي قال: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئًا وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال: «اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم». ثم وضع يده على رأسي -أو قال: على هامتي- ثم قال: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»[3].

وقوله في الحديث «وخراب يثرب خروج الملحمة» الملحمة هي المعركة الكبيرة بين المسلمين والروم النصارى التي يكثر فيها القتل، وسميت بالملحمة لعِظَم القتل فيها، وبعد الملحمة فتح القسطنطينية، وهي استانبول إحدى كبرى مدن تركيا اليوم، ثم يلي ذلك خروج الدجال.

(١) رواه مالك في الموطأ بهذا اللفظ، والحديث في الصحيحين دون ذكر الكلب أو الذئب وذكر الكلب منكر.
(٢) سيأتي تخريجه في العلامة رقم (١١١).
(٣) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

١١٢

نفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد

وهذه العلامة من علامات الساعة مكملة لما قبلها من الخبر عن خراب المدينة وخلوّها من السكان.

والمدينة عمرت وازدهرت، بعدما هاجر إليها النبي ﷺ ومرت السنين والناس يتزايدون سكنى فيها، وإعمارا لها، وأخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرغب الناس عن سكنى المدينة.

المدينة المنورة

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلمَّ إلى الرخاء هلمَّ إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه. ألا إن المدينة كالكير تُخْرج الخبيث. لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»[1].

وروي عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه خرج من المدينة فالتفت إلى مزاحم مولاه فقال: «يا مزاحم أتخشى أن تكون ممن نَفَتْه المدينة؟».

ولا يعني أن من سكن المدينة ثمّ انتقل عنها وفارقها أنه من شرار الناس وخَبَثهم، كلا، فقد انتقل عن المدينة صحابة أخيار، وتحوّلوا منها إلى غيرها من أجل الجهاد والدعوة.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي»[2].

المعنى: أن الناس يتركون المدينة ويخرجون منها مع إمكان العيش فيها، فثمارها حسنة، وعيشها طيب، ولكن يقع من الفتنة والشدة ما يجعل الناس يفارقونها، وينتقلون إلى غيرها شيئًا فشيئًا، حتى لا يبقى فيها أحد من الناس، بل تصبح بيوتا وطرقا ومساجد خاوية، وتطوف في مساجدها وتعدي فيها أي تبول، لا يمنعها من ذلك مانع لخلوّ المكان من الناس.

(العوافي) هي: الطير والسباع

(١) رواه مسلم
(٢) متفق عليه.

١١٣

زوال الجبال من أماكنها

خلق الله ﷻ الجبال ثابتة وهي رواسي للأرض، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة زوال الجبال من أماكنها، فإما أن يكون هذا زوالًا حقيقيًا بخسف أو صواعق، أو زوالًا بفعل الناس، من كثرة البناء، وتسوية الجبال، كما يقع ذلك اليوم في عدد من البلدان بالأرض.

صورة من صور التسوية بفعل الإنسان

أو يكون بتهدُّم الجبال، وكثرة الانهيارات الصخرية، كما وقع ذلك مرارًا

أمثلة على الانهيارات الجبلية الطبيعية

وعن سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها»[1].

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٦١).

١١٤

خروج رجل من قحطان يُطيعه الناس

من علامات الساعة في آخر الزمان خروج رجل من قحطان وهي قبيلة عربية معروفة تدين له الناس بالطاعة وتجتمع عليه الكلمة وذلك عند تغير الزمان.

توزيع قبائل الجزيرة العربية حاليا

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[1].

والمراد بقوله «يسوق الناس بعصاه»: كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه وليس المقصود استعماله للعصا، وإنما ضرب بها مثلًا لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليلًا على خشونته عليهم وعنفه بهم.

والذي يظهر أن هذا الرجل صالح لما روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال فيه «ورجل من قحطان كلهم صالح»[2].

وكونه من قحطان أي من الأحرار فهو غير الرجل الذي سيظهر أيضا واسمه جهجاه، لأن جهجاه من الموالي.

(١) متفق عليه

(٢) رواه أبو نعيم في الفتن وقال الحافظ في الفتح (١٣ / ٣٠١) "إسناده جيد".

١١٥

خروج رجل يقال له الجهجاه

يخرج في آخر الزمان رجال يكون لهم صولة وجولة بين الناس، ذكر النبي ﷺ بعضهم باسمه أو بوصفه من هؤلاء رجل يقال له الجهجاه.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسولُ الله ﷺ قال: «لا تذهبُ الليالي والأيام حتى يملكَ رجل من الموالي، يقال له: الجهجاه» وفي نسخة: الجَهْجَلُ"[1].

قال الحافظ في الفتح: وأصل الجهجاه الصياح

١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩

تَكلُّم السباع والجمادات - تَكلُّم طرف السَوط - تَكلُّم شراك النعل - إخبار فخذ الرجل بأخبار أهله

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن تتكلم السباع والوحوش، ويتكلم طرف السوط وشراك النعل، وفخذ الرجل!!

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة، حتى تُكلّم السباعُ الإنسَ، وحتى: تكلمَ الرجلَ عذبةُ سوطه، وشراكُ نعله، وتخبره فخذُه بما أحدث أهلُه بعده»[2].

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان والحاكم

«حتى تكلم السباع»: أي سباع الوحش كالأسد والذئب وكل حيوان مفترس.

«الإنس»: الإنسان عمومًا سواء كان مؤمنًا أو كافرًا.

«عذبة سوطه»: أي طرف سوطه، والسوط: هو الذي يُجْلَد به.

«شراك نعله»: أحد سيور النعل التي يربط بها الحذاء.

فالعلامتان -أن يكلم الرجل عذبة سوطه وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده- هما علامتان لما تحدثا بعد والله أعلم لكنه كائن وسيحدث ما دام أن المخبر رسول الله ﷺ عن ربه جل وعلا.

وقد ذكر بعض الباحثين أن المقصود بتكلم طرف السوط وشراك النعل والفخذ ما اخترع في عصرنا من وسائل اتصال حديثة، من هواتف متنقلة، ورسائل تنصت، تنقل أدق الأصوات وأخفضها.

وقيل إن ذلك على ظاهره، وأنها علامات على ظاهرها بأن يتكلم السوط وشراك النعل والفخذ، كلامًا حقيقيًا... والله أعلم.

أما عن كلام السباع فقد حَدَثَ زمن النبي ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ «بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عَدَا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهجهجه فعاوده الذئب يمشي، ثم أقعى مستذفرًا بذنبه يخاطبه، فقال الذئب: أخذتَ رزقًا رزقنيه الله؟ قال الراعي: واعجبًا من ذئب مستذفر بذنبه يخاطبني! فقال الذئب: والله إنك لتترك أعجب من ذلك! قال الراعي: وما

أعجب من ذلك؟ قال الذئب: رسول الله ﷺ في النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك، فنعق الأعرابي بغنمه حتى الجأها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه، فلما صلى النبي ﷺ قال: «أين الأعرابي صاحب الغنم»؟ فقام الأعرابي، فقال له النبي ﷺ: «حدث الناس بما سمعت وبما رأيت»! فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه! فقال النبي ﷺ عند ذلك: «صدق، آيات تكون قبل الساعة، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده»[1]».

وكذلك كلام البقر قد وقع:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث! فقال الناس: سبحان الله! تعجبًا وفزعًا! أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: فإني أؤمن به، وأبو بكر وعمر»[2].

وكلام السباع والوحش الوارد في الحديث هو كلام حقيقي على ظاهره، والله تعالى أعلم، وهو ﷻ القائل ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[3].

(١) رواه أحمد قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٥٩): وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) فاطر: ١.

١٢٠ ١٢١

لا تقوم الساعة حتى يُدْرَس[1] الإسلام - رفع القرآن من المصاحف والصدور

من علامات قرب قيام الساعة أن يندرس الإسلام وتنمحي تعاليمه ومظاهره بسبب الفتن والمعاصي والجهل فلا يبقى في الناس صيام ولا صلاة ويرفع القرآن من صدور الناس فلا يبقى في الأرض منه آية ويشيع الجهل في الناس حتى يقول الشيخ الكبير والعجوز: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها.

عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُدْرَس الإسلام كما يُدْرَس وَشْيُ الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويُسْرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها».

ولما حدّث حذيفة ﷺ بهذا الحديث، تعجب الناس حوله، فقال صلة بن زفر الراوي عنه: يا حذيفة فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟!! فأعرض عنه حذيفة، فردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار"[2].

«يُدْرَس»: أي يزول ويمّحي فلا يبقى منه شيء، والمعنى تزول من بين الناس شعائره الظاهرة

(١) معناه يمّحي ويزول وقد تُفتح تَدْرَس، بفتح الياء وضمها.

(٢) رواه ابن ماجة في السنن وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الحاكم على شرط مسلم.

«وَشْيُ الثوب»: أي النقش والزخارف التي تُرسم على الثوب ن فتزول مع كثرة الاستعمال والغسل.

«يُسْرى على القرآن»: أي يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، لمّا يهمله الناس ولا يتلونه، ولا يتعبدون به.

وهذه العلامة لم تظهر بعد فالدين الإسلامي في مد وانتشار والحمد لله.

نموذج لأقمشة قديمة فيها وَشْيٌ وتخطيط يزول مع كثرة الاستعمال

١٢٢

جيش يغزو البيت يُخْسف بأوله وآخره

أخبر النبي ﷺ أن جيشا سيغزو البيت الحرام يطلب رجلاً من قريش للوقيعة به وهو المهدي فيخسف الله ﷻ بجميع الجيش بأوله وآخره، والجيش من أمة النبي ﷺ ويبعثون على نياتهم.

فعن عبيد الله ابن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به؟ - وذلك في أيام عبد الله بن الزبير لما كان في حربه مع الحجاج بن يوسف، وكان ابن الزبير متحصنًا بالبيت الحرام بمكة، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم». فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[1].

وفي رواية: أن النبي ﷺ ذكر الجيش الذي يخسف بهم، فقالت أم سلمة: لعل فيهم المكره؟ قال: «إنهم يبعثون على نياتهم»[2].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي.

أما بعثهم على نياتهم فلأن فيهم المكره ومنهم المتابع ومنهم صاحب السوق وسبب إهلاك الجميع لشؤم صحبة الأشرار لأن البلاء يعم بحكم المصاحبة ويحاسب كل واحد منهم يوم القيامة بحسب قصده ونيته.

وفي الحديث تحذير من صحبة الأشرار ومرافقتهم، فإنه يدل على أن من كثّر سواد قوم في المعصية مختارا أن العقوبة تلزمه معهم.

والحديث يدلّ على أن الله يخسف بهم قبل أن يصلوا إلى الكعبة.

ومن سياق الروايات يُفْهم أن هذا الجيش الذي يغزو البيت لعائذ بالبيت هو المهدي محمد بن عبد الله فيحميه الله ﷻ ويخسف بهذا الجيش كرامة له.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «عَبِث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك، لم تكن تفعله؟ فقال: «العجب أن ناسًا من أمتي يؤمُّون هذا البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد تجمع الناس، فقال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله عز وجل على نياتهم»[1].

وفي رواية قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ويبعثون على نياتهم»[2].

وسيأتي تفصيل الكلام عن المهدي والأحداث الواقعة معه[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر العلامة رقم (١٣١) من العلامات الصغرى.

١٢٣

ترك الحج لبيت الله الحرام

من أحداث آخر الزمان ما يقع من فتن، وصدٍ عن الدين، فيأتي على الكعبة زمان يتعطل عنها الحج والعمرة

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجّ البيت»[1].

ولكن هذه العلامة ستتأخر جدًا، لأنه بعد يأجوج ومأجوج يستمرّ الحج.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسولُ الله ﷺ قال: «لَيَحُجَّنَّ هذا البيتُ، ولَيُعْتَمَرَنَّ بعدَ خروج يأجوجَ ومأجوجَ»[2].

وقد يكون المراد بـ«لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجّ البيت» أن الحج ينقطع عن البيت الحرام مُدَّة لحروب أو غيرها، ثم يعود الحج مرة أخرى.

ملايين الحجاج يتوافدون سنويًا على بيت الله الحرام في هذا الزمان

أو أن المعنى: أن يمنع أقوام من الحج إلى البيت الحرام، والله أعلم.

(١) رواه أبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين

(٢) رواه البخاري

١٢٤

عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام

كانت جزيرة العرب في شرك وعبادة أصنام، فمكّن الله ﷻ نبيه ﷺ وأيده بجنده، حتى حطم الأصنام، ووحّد الملك العلاّم جل جلاله.

لكن مع اقتراب الساعة، وابتعاد الناس عن الدين وزهدهم في العلم، يعود فريق منهم إلى عبادة الأصنام، وهذا من علامات الساعة.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسولُ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطربَ أليات نساءِ دَوْس على ذي الخلَصَة»[1].

«ذو الخلَصة»: صنم كانت تعبده قبيلة دَوس التي في الجاهلية.

«أليات»: هو جمع (الية) وهو العجز (الدبر).

والمراد يضطربن من الطواف حول صنم ذي الخلصة، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها.

ومساكن قبيلة دوس في الأصل في جنوب غرب الجزيرة العربية.

(١) رواه البخاري ومسلم.

١٢٥

فناء قبيلة قريش

قبيلة قريش من القبائل العربية، وهم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقريش لقب غلب على بنيه أخذًا من التقارش، وهو التجارة، لأنهم كانوا تجارًا.

توزيع قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام

وقريش عدة بطون، وهم: بنو الحارث بن فهر، وبنو جذيمة، وبنو عائذة، وبنو لؤي بن غالب، وبنو عامر بن لؤي، وبنو عدي بن كعب بن لؤي، وبنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو عبد الدار، وبنو نوفل، وبنو عبد المطلب، وبنو أمية، وبنو هاشم، وغيرهم

توزيع قبائل الجزيرة العربية حاليًا

ثم تفرق قريش هؤلاء بعد الإسلام أفخاذًا كثيرة: كالبكريين، والعمريين، والعثمانيين، والعلويين، وغيرهم.

وأصل مسكنهم الجزيرة العربية وقد تفرقت وملأت الأقطار وانتشرت في البلدان.

وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يتناقصون حتى تفنى القبيلة أو تكاد.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أسرعُ قبائل الناس فناء قريش يوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول هذا نعل قرشي»[1].

ويشهد لهذا قوله ﷺ: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا» وقد تقدم[2].

١٢٦

هدم الكعبة على يدي رجل من الحبشة

ومن علامات الساعة هدم قبلة المسلمين الكعبة المشرفة يهدمها في آخر الزمان رجل أسود من الحبشة يسمى ذو السويقتين لصغر ساقيه ورقتهما، وسوف يهدمها حجرًا حجرًا ويجردها من كسوتها ويسلبها حليها.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح وصححه أحمد شاكر والألباني.

(٢) علامة رقم (٨٢) من العلامات الصغرى.

يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة»[١].

وفي رواية: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[٢].

الحبشة (إثيوبيا)

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كأني به أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا - يعني الكعبة»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حُلِيَّها، ويجردها من كسوتها ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمساحيه ومِعوله»[٤].

«أُصَيْلِع»: تصغير أصلع أي لا شعر له.

«أُفَيْدِع»: أي اعوجاج في المفاصل، كأنها قد زالت عن مواضعها.

«بِمِسْحاته» أي مجرفته، والمجرفة آله من حديد تستخدم في الحرث.

«المِعْوَل» آله من حديد ينقر بها الصخر.

(١) رواه أبو داود وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٧٧٢)
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه أحمد، وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي.

إشكال

وقد يقال كيف يهدمها وقد جعل الله مكة حرمًا آمنًا؟ والله ﷻ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا﴾ [العنكبوت:٦٧]. **ويقول:** ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص:٥٧]. **ويقول:** ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج:٢٥]. **وقد حماه الله ﷻ من أصحاب الفيل وهم حينئذٍ كفار مشركون فكيف يسلط عليه هذا الرجل وهو قبلة المسلمين؟**

الجواب:

- **أولًا:** أن البيت الحرام يبقى حرمًا آمنًا إلى قرب قيام الساعة، وليس إلى قيام الساعة وخراب الدنيا، وليس في الآية استمرار بقاء الأمن إلى قيام الساعة، لأن الآية تصف حال البيت الحرام في ذلك الزمان أنه آمن.
- **ثانيًا:** أن النبي ﷺ أشار أنه سيستحلّ هذا البيتَ أهلُه.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُبايَع لرجل ما بين الركن والمقام[1]، ولن يستحل البيتَ إلا أهلُه فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يُعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه»[2].

وفي زمن أصحاب الفيل كان أهل مكة كفارًا إلا أنهم كانوا معظمين للبيت غير مستحلين له فمنعه الله ﷻ من أبرهة وقومه.

وأما ذو السويقتين الحبشي فلن يهدمه إلا بعد استحلال أهله له وجرأتهم عليه، وعدم عنايتهم به، فإذا أهملوا العناية بالبيت والاهتمام به ترك الله نصرتهم.

(١) المقصود به المهدي وسيأتي تعيينه في العلامة رقم (١٣١) من العلامات الصغرى.
(٢) رواه أحمد بسند صحيح.

١٢٧

بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين

بعد تتابع أشراط الساعة، وظهور العلامات الكبرى كالدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وغيرها، يقترب قيام الساعة، فيبعث الله ﷻ ريحًا طيبة، تقبض أرواح المؤمنين، صيانةً لهم عن الفزع والخوف الذي يكون عند قيام الساعة، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الناس.

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسولُ الله ﷺ الدجال... وذكر الحديث حتى قال: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[1] فعليهم تقوم الساعة»[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج الدجال... ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»[3].

وهذه الريح تكون بعد موت عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج الدجال.

(١) أي ينكح الرجال النساء بحضرة الناس كما تفعل الحمير، ولا يبالون أو يستحون من ذلك.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.